

الوارث
٨٧
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
شوال ١٤٣٧ هـ - تموز ٢٠١٦ م
الأمانة العامة
المقدسة
١٠
عظمة
الإمام الحسين عليه السلام
يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب
١٦
٢٢
سلام الله على
صادق الوعد
٥٤
تقسيم الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل محمد

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والاخراج الفني

السيد علي ماميثة





إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

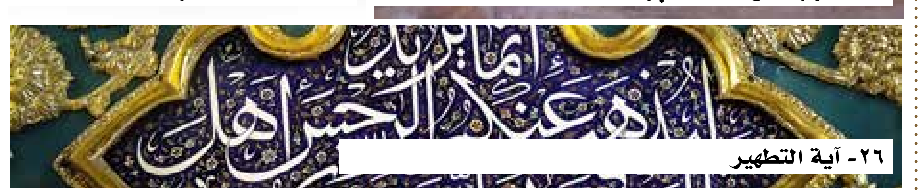


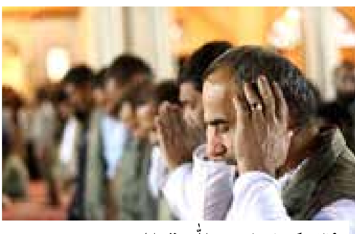


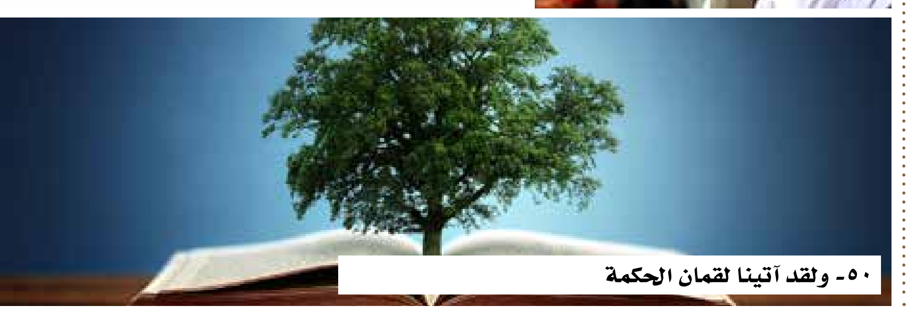












جريمة لا تنسى



في اليوم الثامن من شهر شوال وفي سنة ١٣٤٤هـ، قام خوارج العصر بجريمة تنم عن حقد وبغض عجيب إزاء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ألا وهي هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام.

ولكي يمعنوا في الجريمة حرّموا على المؤمنين زيارة قبورهم حتى بعد هدمها.

ولكي لا يقال لمَ سميت هدم القبور بالجريمة، أعرض للقارئ الكريم هذه الروايات لكي يستطيع الحكم على فعلهم المشين.

١. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله الحسن بن علي عليهما السلام قال:

«يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني، من زارني حيّا وميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقا عليّ أن أزوره يوم القيامة فأخلصه من ذنوبه».

أليس الهدم مانعاً من الزيارة وحرمانا من الثواب الجزيل؟

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من زار الحسن في بقيعه، ثبت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام».

ألم يكن الهدم إبعاداً للمؤمن من أن ينال ثبوت القدم يوم تزل الأقدام؟

٣. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيرا».

٤. قال الإمام العسكري عليه السلام:

«من زار جعفراً وأباه، لم يشتك عينه، ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى».

ألا يعد الهدم حرماناً للمؤمن من هذه الآثار الرائعة في الدنيا؟

ألا يعد الهدم اعتداءً على حقوق المؤمنين؟ وانتهاكاً لحرمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

ألا يدخل هذا أذىً وحزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

أبعد كل هذا لا يسمى جريمة، بل هو جريمة لا تنسى.

المشرف العام



نقل الشيخ ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات الذي يعد من المصادر الشيعية المهمّة والمعتبرة روايتين مفصلتين حول القضية الحسينية المقدسة.

وقد وردت الروايتان في المصادر الشيعية الأخرى ومنها كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله.

الرواية الأولى سندها مروي عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام المقربين وهو (ليث الرادي) المكنّى بأبي بصير والمعروف بالوثاقة لدى الفقهاء.

حضر أبو بصير يوما عند الإمام وتشرف بلقياه، فتحدث الإمام الصادق عن واقعة الطف الأليمة وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من محن ومصائب، ولما بلغ بعض الوقائع انقلب حاله عليه السلام وقام من مكانه وأخذ يناجي ربه، وكان أبو بصير أيضاً قد تغير حاله لما رآه من حال الإمام عليه السلام ولذا لم يرو مناجاة الإمام عليه السلام، وقد تغير حال أبو بصير بحيث إنه لم يستطع النوم تلك الليلة لشدة ما رآه من تغير حال الإمام الصادق عليه السلام.

فعن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام أحدّثه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمه وقبله، وقال: «حقر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء»، ثم بكى، وقال: «يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيحفظونها [فيكبحونها] ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليها السلام.

وإنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض وما منها قطرة إلّا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض.

ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها».

قلت: جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم؟ قال: «غيره أعظم منه ما لم تسمعه»، ثم قال لي: «يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟».

فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق وما قدر على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو فخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت

وحمدت الله. (كامل الزيارات:٨٣. بحار الأنوار:٤٥/٢٠٩)

أسباب تغير حال الإمام عليه السلام

لا يخفى أن حالات المعصوم عليه السلام وطباعه تختلف تماماً عن الناس العاديين، إذ إنّ الإنسان يتأثر بالمسائل العاطفية ويشعر بشعور يقلبه رأساً على عقب، أما المعصوم عليه السلام فهو في أوج العاطفة والرحمة لا يتأثر بالمشاعر والأحاسيس العاطفية، وتغير حاله يكشف عن أن الموضوع في غاية العظمة والأهمية.

لأن الإمام عليه السلام حجة الله في أرضه وسمائه، وهو معلم الأكوان والملائكة والأنبياء، وهو أشرف الأولين والآخرين بما فيهم الأنبياء والمرسلون من بعد خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يختلفون عن جدّهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلا بمقام النبوة، ولذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يتأثر الإمام عليه السلام بقضية عاطفية أو تظهر عليه الأحاسيس والمشاعر الجياشة، والأنموذج البارز لذلك هي واقعة عاشوراء الفجيعة حيث كان وجه الإمام الحسين عليه السلام يتلألأ نوراً كلما فقد عزيزاً من أهل بيته وصحبه الأبرار.

والحال أن المصائب التي نزلت به من أعظم المصائب وأشدها، ومن الصعب بمكان تحملها.

والسؤال هنا هو: لماذا تغير حال الإمام الصادق عليه السلام لدى سماعه بعض وقائع عاشوراء فقام من مكانه وتفرغ للدعاء والعبادة؟ ولماذا تشهق الصديقة الزهراء عليها السلام؟

الجواب: إنّ من يعرف عظمة الصديقة الزهراء عليها السلام ووجاهتها عند الله سبحانه يدرك مليّاً أنّ تغيّر حال الإمام الصادق عليه السلام لم يكن ناجماً عن الإحساس العاطفي.

يقول أبو بصير: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق».

وقد استخدم كلمة الشهقة في اللغة العربية في من يصاب بلوعة فتحتبس أنفاسه في أعماقه مع عدم القدرة على التنفس، ومن ثم وبشكل مفاجئ يتنفس من عمق وجوده بتألم ولوعة، مثل هذه الحالة في اللغة تسمى الشهق والشهقة، بالطبع كل نفس لا يقال له شهقة، وإنما النفس الذي يحبس جرّاء مصيبة عظمى ومن ثم يطلقه الإنسان من أعماقه يسمى شهيقاً، ففي اللغة: الشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وأما خروج النفس فيسمى زفيراً، وقد ورد في القرآن الكريم أن لجهنم شهيقاً وزفيراً.

ولا يخفى على أهل العلم أنّ استعمال الجملة الفعلية في الجمل يدل على الدوام والاستمرار خاصة إذا كان فعلها مضارعاً، وفي الرواية الشريفة بدأ الإمام الصادق عليه السلام بالجملة الفعلية، فقال: «تشهق»، ما يعني أنها عليها السلام تشهق وتتألّم دوماً لمصائب عاشوراء، لذا تأثر الإمام عليه السلام لما روى الرواية ما أثّر على أبي بصير تبعاً له.

تأثر عوالم الخلقة

لم يصرح الإمام الصادق عليه السلام عن المدة التي تبقى مولاتنا الزهراء عليها السلام تشهق فيها، فقد تكون في كل ليلة من ليالي عاشوراء أو في يوم عاشوراء من كل سنة، ومن الممكن أنها تشهق طوال السنة، أو يكون حالها كذلك في يوم شهادة الإمام عليه السلام إلى يوم القيامة.

وعلى أيّ حال فإن القدر المتيقّن من الرواية أنّها عليها السلام تشهق في ليلة عاشوراء ويومه، وشهيقها هذا لا يؤثر على الكرة الأرضية فحسب، بل يشمل جميع العوالم ويترك بصماته على كل شيء ما عدا الذات الإلهية، وكل ما في الوجود يختل نظامه وعمله.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أن الإنسانية لا تتحمل هذه الشهقة، ولو بلغنا ذرات منها لهلكنا؛ لأنّ الإنسان ليس له القدرة على تحمّل سماعها.

وهذه الشهقة لسيدة النساء عليها السلام والمصيبة العظيمة التي حدثت للإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن تنتهي في يوم من الأيام، بل هي سرمدية وخالدة، وهذا ما أكده نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «فَلَا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّاً». (كامل الزيارات:٢٦٢)

ومن المؤكد أن الشهقة التي تشهقها السيدة الزهراء عليها السلام أثرها على كل الخلائق، وطبقاً للرواية فإنّ لون جهنم أسودّ من شدّة الحرارة، وقد نقل الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الاختصاص رواية مفصّلة حول جهنم.

وأن من يطالع أحوال جهنم بإمعان لن يتمكن من النوم والسكينة إلى الصباح من شدة الخوف والفزع!

فمثل الشمس التي هي كرة عظيمة من النار رغم شدة حرارتها إلا أن لونها لم يتغير ولم تصبح سوداء، مع أن درجة حرارة الشمس هي ١١٠٠٠ درجة، وأن الحرارة لو بلغت ٨٠٠

إلى ٨٥٠ تذيب الفولاذ، ولذا فإنّ حركة الفولاذ في الشمس كحركة الغاز، وهذا دليل على شدة حرارة الشمس، وبالرغم من ذلك فإنّ لونها لم يتغيّر ويصبح أسوداً.

الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام يصرّح: أنّ شهقة الزهراء عليها السلام تؤثر على جهنم فتضج ويزداد لهيبها، ولولا أنّ الملائكة الموكلين بها يغلقون أبوابها لأحرقت الكون بأسره وأهلكت جميع الموجودات، وهنا يطرح السؤال التالي: ما هي حقيقة تلك الشهقة الأليمة التي تشهقها الصديقة الزهراء عليها السلام؟

ولماذا لم تشهق سيدة نساء العالمين يوم شهادة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهادة أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام والحال أنهم أفضل من الإمام الحسين عليهم السلام؟ أليس أنّ شهقتها عليها السلام ينبأ عن فداحة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام؟

إنّ شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تترك بصماتها على كل قطرة ماء في هذا العالم الواسع فيوعز الله عز وجل إلى الملائكة الموكلين بالبحار والمحيطات أن يسيطروا عليها إثر شهقتها عليها السلام، وإلا لتلاطمت الأمواج العاتية وآل الأمر إلى غرق الكرة الأرضية وفنائها عن بكرة أبيها.

ومن الأمور التي تتأثر بشهقة السيدة الزهراء عليها السلام هي الأرض حيث تترك تلك الشهقة زلزالاً مهيباً وشديداً في الأرض، ولولا تسبيح وتقديس الملائكة لساخت الأرض ومن عليها من عظمة تلك الشهقة؛ لأنّ الملائكة عندما تسمع شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تبدأ بالتهليل والتقديس بصوت عالٍ ومناجاة الباري عز وجل خشية أن تباد الأرض، مما يوجب عطف ورأفة الخالق المتعال وبقاء الأرض في أمان.

وكما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الشهقة شديدة ومهيبة بحيث أنه لو لم يسيطر عليها لحدث زلزال عظيم يمحو الأرض وصارت أثراً من بعد عين.

ولو سمع الناس قليلاً من تسبيح وتقديس الملائكة وهم يقولون: سبوح قدوس لانقلبت مقاييس الأرض وصار عاليها سافلها وماتت بقية المخلوقات.

وعندما انقلب حال الإمام الصادق عليه السلام وتغيّرت أوضاعه قام وذكر الله عز وجل وسبّحه كثيراً، ومن الممكن أنه عليه السلام دعا الله سبحانه وتعالى أن يرفع البلاء عن المؤمنين والمؤمنات وأن يزيد في توفيقاتهم لإقامة مراسيم العزاء والمراثي على الإمام الحسين عليه السلام.

ولو أمعنا النظر في مراسيم عاشوراء في كل سنة ودققنا في العظمة التي تكتنفها من التفاف الناس حولها وما شابه لجلت لنا ومضة بسيطة من دواعي شهقة بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

عاشوراء في زمن الظهور

لا شك أن عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام لا يطفأ نورها بعد ظهور بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف بل هي مستمرة إلى يوم القيامة، والروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تدلّ بشكل جلي على أنّ قضايا عاشوراء تأخذ أبعاداً أخرى في ذلك اليوم، حيث تدرك الخلائق ما جرى ويتضح للجميع حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام والأهداف التي كان يبتغيها، والمظلومية العظيمة التي حلت به، والعاقبة والعذاب الشديد لمن قتله وظلمه ووقف في طريق نصرته ونصرة شعائره المقدسة.

كما أن دم الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن جبره بأي حال من الأحوال، والله سبحانه وتعالى أعلم وحده بالقيمة الواقعية لقطرة الدم التي أريقت من سيد الشهداء عليه السلام وعظمتها، ولن يعوضها شيء في هذا الكون الواسع في أي زمان.

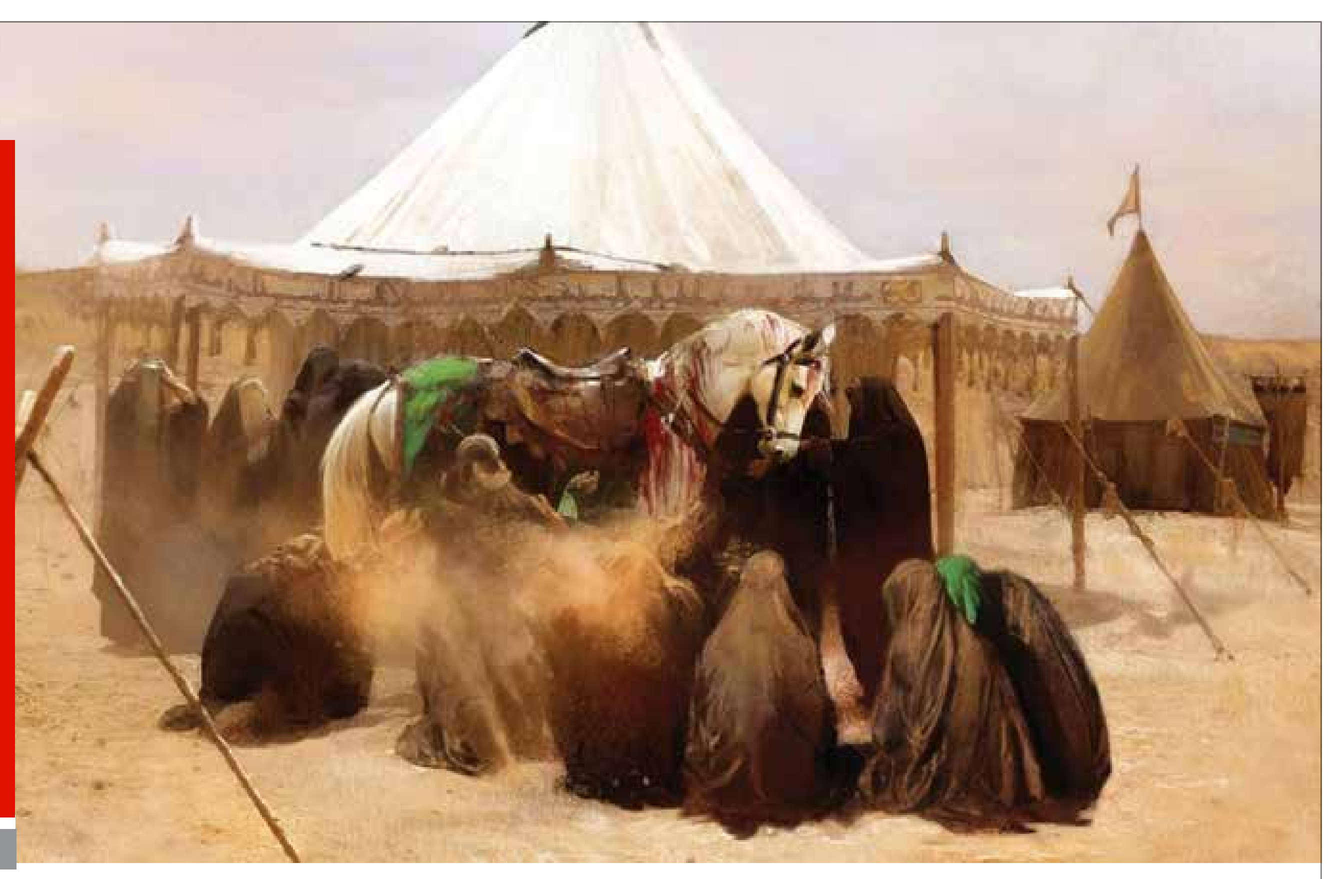
وكلما فعلنا في عزاء الإمام الحسين عليه السلام يعود نفعه لنا أولاً وآخراً، فببركته عليه السلام ننال القرب الإلهي وعلو الدرجات ودعاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء عليها السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام.

وإلا فأي عمل مهما عظم وكبر فهو لا يسدّ معشار قطرة من قطرات دم الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هذا المنطلق تبقى عاشوراء سرمدية أبدية معطاءة لا تتوقف ثمارها إلى يوم القيامة، بل تستمر حتى يوم القيامة.

محاربة الشعائر الحسينية

نقل السيد محمد الشيرازي رحمه الله قائلاً: قبل ثمانين عاماً تقريباً ورد كل من رضا خان في إيران وياسين الهاشمي في العراق وأتاتورد في تركيا عالم السياسة، وكانوا يحملون مهمة واحدة وغاية مشتركة ألا وهي القضاء على الدين وتقويض الشعائر الحسينية المقدسة، ولكن باء الثلاثة رغم خشونتهم المفرطة والأعمال الاجرامية والأساليب القمعية التي قاموا بها بالفشل الذريع، وظلت أفعالهم وصمة عار تلاحقهم إلى يوم يبعثون، وسوف تبقى الأجيال تلعنهم إلى



الأبد.

فقد حكم البهلوي في إيران ما يناهز العشرين سنة وعمل في السنين الخمس الأخيرة من حكمه بكل حزم وشدة على محاربة الشعائر الحسينية والنيل منها، فحبس الخطباء وضربهم وغرمهم غرامات مالية كبيرة، كما سجن وعذب كل من يقيم العزاء وعاقبهم بعقوبات شديدة وقاسية، وقد طال ذلك حتى الذين كانوا يقيمون العزاء في بيوتهم الخاصة.

وأما في العراق فقد حارب ياسين الهاشمي طوال توليه منصب رئاسة الوزراء الدين بقوة فضلاً عن الشعائر الحسينية وتجاوز كل حدود الأخلاق والأعراف الدينية حتى فاق نظيره البهلوي في إيران إذ إن البهلوي كان يسجن مقيمي الشعائر والمجالس، أما الهاشمي فبالإضافة إلى ذلك فقد أصدر في زمن السيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا النائيني وبقية العلماء الأعلام رحمهم الله قراراً في وسائل الإعلام بإهانة وتحقير العلماء ورجال الدين، ولم يستمر هذا الوضع طويلاً إذ إن السيد أبا الحسن الأصفهاني رحمه الله قلب الموازين لصالح الطائفة الحقة، وكانت النتيجة أن خابت آمال الهاشمي في القضاء على الشعائر والمذهب ولم يحقق أهدافه المشؤومة على أرض الواقع.

وبطبيعة الحال هناك علماء أعلام وشخصيات كبار أمثال الشيخ عبد الكريم الحائري والسيد حسين القمي رحمهما الله وقفوا مواقف حازمة لحماية الدين الإسلامي المبين من الانحراف والحفاظ على الشعائر والمجالس الحسينية حيث تحدوا جبروت البهلوي وضحوا بالغالي والنفيس في طريق ذات الشوكة، وسقط في سبيل إعلاء كلمة الدين وبقاء صرخة الإمام الحسين عليه السلام مدوية العديد من المؤمنين شهداء ليلتحقوا بقوافل الشهداء الذين سقطوا طوال التاريخ على مقصلة العقيدة.

وقد تكرر السيناريو في تركيا على يد أتاتورك الذي أراد القضاء على الدين كلياً وعمل بشتى الوسائل والطرق لهذا الهدف وكان مدعوماً بقوة من القوى والحركات المعادية للإسلام.

فالشواهد والدلائل كلها تشير إلى أن الظلم والجور لم يمنع الأمة ولو بقدر أنملة أن تقيم الشعائر الحسينية وتحيي مراسيم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، وباءت كل المحاولات بالفشل وخيبة الأمل، وكما نرى اليوم فإن المراسيم تقام في كل مكان من أصقاع العالم وترتفع رايات الإمام المظلوم عليه السلام في دول وبلدان لم يكن يتصورها العقل يوم من الأيام.

ولم يشهد التاريخ حيوية وحماساً كما في الشعائر والمآتم الحسينية الراهنة حيث استمدت الشعائر عنفوانها وديموميتها من عظمة أهدافها التي انطلقت من أجلها على يد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

بل صارت الشعائر الحسينية محوراً تشد المجتمع وتزيد من أواصر التماسك الاجتماعي والعمل على حب الخير والصلاح، وهذا كله ببركة الدماء الزاكيات التي أريقت في أرض الطفوف، بالطبع آلت عواقب هؤلاء الحكام الثلاثة إلى ما لا يحمد عقباه، وصار التاريخ يلعنهم جيلاً بعد جيل، ولو كانوا يتمكنون الخروج اليوم من قبورهم ويرون ما وصلت إليه الشعائر الحسينية من عظمة وانتشار لشعروا بفشلهم الذريع والحسرة على كل خطوة خطوها في هذا الطريق.

سرمدية الشعائر الحسينية

من الواضح أنّ الحكام الذين أسرفوا في الظلم والجور ومن سار في ركابهم يتصورون بذهنيتهم الخاوية أنهم قادرون على مواجهة الشعائر الحسينية والعمل على التقليل من بريقها ونورها الوهاج، ولكن أين الحكام الظلمة اليوم؟

فقد أصيبوا في الدنيا بالعار والخزي وفي الآخرة ساءوا مستقراً ومكاناً، وأين ياسين الهاشمي؟ ليخرج من قبره المظلم وليرى ما يجري في العراق والدول الشيعية، وأين بلغت قوة الشعائر في المعمورة والذين يشاهدون القنوات الفضائية الدينية يدركون إلى حد ما عظمة الشعائر الحسينية، ورأوا بأمّ أعينهم مشاهد يعجز العقل عن إدراكها وتصورها.

وقد نرى ما تشهده أصقاع العالم المختلفة من عظمة وهيجان في مراسيم الإمام الحسين عليه السلام فاليوم أضحت النهضة الحسينية تمثّل مشروعاً متكاملاً في كافة الجوانب الحياتية للإنسان وعلى جميع الأصعدة العقائدية والفكرية والأخلاقية، وصارت مفرداتها تتجدّد في كل زمان ومكان ولا تقتصر على بقعة معينة أو زمن محدد أو شعب ما أو طائفة بعينها، فتجاوزت كل الأطر والحدود.

بالطبع ما نراه في أنحاء العالم لا يتناسب مع منزلة الإمام الحسين عليه السلام وإذا ما قورنت مع القابليات الموجودة على الكرة الأرضية فهي مقابلها كالعدم، ومع ذلك تبقى آيات الشكر موصولة لكل من أحيى تلك المراسيم وقدم لها الدعم المادي والمعنوي (شكر الله مساعيهم جميعاً) هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إننا نتأسّف كثيراً على الثلة الذين يتصورون أنّهم قادرون من خلال تربعهم على كرسي الحكم وتسلطهم على رقاب الناس لمدة قصيرة في هذه الدنيا الفانية، أن بإمكانهم التحكم بشعائر الإمام الحسين عليه السلام والتقليل من شأنها وعظمتها وتسليط سوط عذابهم على كل من يتمسك بها! فقد خسر كل من كان يفكر بهذا النحو، أليس أن الحكام الظلمة السابقين هم الخاسرون الأكبر؟

وأليس الحكام كانوا يعتقدون أن من خلال الضرب والسجن والاعتقال والتبعيد يستطيعون الوقوف أمام الشعائر والحيلولة دون إقامتها؟ ولكن شاهد الجميع عاقبتهم ومصيرهم الأسود.

لذا ينبغي أن يتعظ كل من يريد الاقتفاء بأثرهم وليرى عاقبتهم السيئة ومصيرهم الأسود الذي لاقوه.

بقلم: السيد صادق الشيرازي



عظم مصاب سيد الشهداء عليه السلام

روى إبراهيم بن أبي محبوب رواية مفصّلة عن الإمام الرضا عليه السلام في قضية الإمام الحسين سلام الله عليه وواقعة عاشوراء جاء فيها: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا...».(أمالي الصدوق:المجلس٢٧)

وقد أشكل البعض على هذه العبارة من ثامن الحجج سلام الله عليه وقالوا: وكيف يمكن للمصائب أن تقرح الأجفان؟

الحقيقة إنّ هذه الإشكالات تصدر في الغالب من بعض السذّج الذين لا باع لهم في ميدان العلم والمعرفة، ويريدون بهذه الإثارات والإشكالات أن يتظاهروا بالعلم ويبرزوا عضلاتهم العلمية - إن صحّ التعبير - أمام أهل البيت عليهم السلام وعلمهم ومقامهم؛ غافلين عن أنّ من يقوم بهذا الأمر في مقابل أهل البيت سلام الله عليهم سيفتضح أمره سريعاً وتبدو عورة جهله، فمن الأولى به أن يقوم بهذا الدور وفتل العضلات أمام غير أهل البيت سلام الله عليهم.

ثمّ إنّ التشكيك بأقوال أهل البيت عليهم السلام وبمنزلتهم ليست جديدة ولا وليدة هذا العصر، بل كانت موجودة في عصر الأئمة عليهم السلام أيضاً بل منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان هناك من يقف في وجه أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبدي نوعاً من المعارضة.

فعلى سبيل المثال، يوم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام استكثرت عائشة ذلك، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «كان الحسين بن علي سلام الله عليه ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: ويلك وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني؟ أما إنّ أمّتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجّة من حججي. قالت: يا رسول الله حجّة من حججك؟! قال: نعم حجّتين من حججي. قالت: يا رسول الله حجّتين من حججك؟؟!! قال: نعم وأربعة. قال: فلم تزل تزادّه ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها».(كامل الزيارات:٦٨،ح١)

فهذه الاعتراضات ليست جديدة، وهي لا تزال مستمرّة حتى يومنا هذا، ولكنها لم تورث أصحابها إلاّ الخيبة والفضيحة، لأنّ الله تعالى وعد أنّ لا يزيد معارضي الإمام الحسين عليه السلام إلاّ الخيبة، وشعائر الإمام الحسين عليه السلام إلاّ ظهوراً، كما صرّح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وحدّثت به زينب الكبرى سلام الله عليها عندما رأت حال ابن أخيها السجّاد عليه السلام بعد مصرع أبيه وإخوته، فسلّته سلام الله عليها بذلك الحديث.

بقلم: السيد صادق الشيرازي



عظمة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ العظماء الذين جاءوا إلى هذه الحياة على نوعين:

النوع الأول: محدودو العظمة، والنوع الثاني: العظماء طول الزمن.

النوع الأول: محدودو العظمة

هذا النوع يشكله الغالبية من العظماء الذين جاؤوا إلى هذه الحياة، فملؤوا وأثّروا، ولكن عظمتهم كانت محدودة بفترة زمنية، فقد كانت في عشر سنوات أو أربعين أو ثمانين عاماً، أو ربما تكون ليوم واحد فقط! وهو ما نلاحظه من مطالعة سيرة بعض العظماء الذين كان عظيماً ليوم واحد فقط.

إنّ عدد الذين حكموا على الكرة الأرضية خلال فترات التاريخ الماضية، ربّما يفوق عشرات الألوف، لكن عظمتهم كانت مؤقتة وآنية، أي إنّها لسنوات ثم ينتهي كل شيء، وقد خطب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أولئك بالقول: «أين العمالقة وأبناء العمالقة...»؟(نهج البلاغة: الخطبة١٨٢)

لا نجد لهم اليوم أي أثر، ولا يسمع بهم أحد، ذهبوا في طيات التاريخ، رغم أنّ منهم السياسيين وقادة الجيوش العظيمة الذين فتحوا البلاد وحكموا الملايين.

من هذا النوع كان الاسكندر المقدوني الذي يقال إنّه حكم الكرة الأرضية بأسرها، وهو من القلة الذين حكموا العالم كله، وهو طُموح طالما راود الحكام واعتلج في صدورهم، ويقال: إن أربعة من الحكام حكموا الأرض بأسرها أحدهم كان الإسكندر المقدوني، والآخر هو الإسكندر ذو القرنين.

وعندما توفي الإسكندر المقدوني، جاؤوا بالكفن وألقوه عليه فغطى كل بدنه، ولكن بقيت يده خارج الكفن مفتوحة، فجاء أحد الحكام العالمين وقال: إن هذه اليد المفتوحة خارج الكفن رسالة من صاحبها: أن أيها الناس اعتبروا بحالي، فأنا الذي ملكت الدنيا كلها، وملكت الأموال والأقاليم والبلاد والعباد، أخرج اليوم من الدنيا دون أن آخذ شيئاً بيدي.

قل للذي ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن

النوع الثاني: العظماء طول الزمن

هذا النوع من العظماء ممن لا يحدد الزمان عظمتهم، وإنما هم باقون عبر القرون، وليس خلال ثمانين أو مائة عام، وهذا النوع هم الأقلية من العظماء.

لكن ما السبب في وجود عظماء محدودي العظمة؟ في

المقابل هناك عظماء غير محدودي العظمة؟ وهل هناك من صدفة في المسألة؟ أم هنالك علل في هذا الكون؟! وهل أن الصدفة وراء حوادث الكون الصغيرة منها والكبيرة؟ الإجابة هي النفي قطعاً.

هو ليس في الوجود الاتفاقي
إذ كل ما يحدث فهو راقي
لعلل بها وجوده وجب
يقول الاتفاق جاهل السبب

فالجاهل هو الذي يقول بوجود الصدفة والمفاجأة، والذي لا ينظر إلى الأمور إلاّ من بُعد واحد، بينما الملمّ بجميع الأبعاد والمعادلات، لا يمكن أن يقول بهذا القول، فالقضايا العادية إذا لاحظنا دوافعها نجدها حتمية وليست مصادفة، فكيف بالقضايا الكبرى.

لذا فإنّ العظمة المحدودة والعظمة غير المحدودة تقف وراءها جملة عوامل منها وفي مقدمتها: عامل المادة، فالذين ارتبطت عظمتهم بعظمة المادة ينتهون بانتهاء المادة، كما أن التاجر الذي بنى عظمته وكيانه وشخصيته على المال، سينتهي بانتهاء ذلك المال، وقارون الذي كان يملك من الأموال ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾. (القصص:٧٦)

فقد بنى عظمته على المال وعلى تلك الخزائن، لكن عندما انتهى وبات في طيات التاريخ، يذكر اليوم ليعتبر به ليس إلاّ، وهكذا كثير من الحكام انتهوا، لأنهم بنوا حكمهم وكيانهم وبيدهم السيف والسوط، وهما أيضاً لم يدوما لهم، فانتهيا وانتهوا هم أيضاً معهما، (لو دامت لغيرك ما وصلت لك).

من هنا فإنّ كل عظمة تبنى على قاعدة مادية تكون إلى زوال، لذا يقول الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾. (النحل:٩٦)

أي إنّ الذي عند البشر من ثروة وعلاقات اجتماعية وكل شيء ينفد، ولكن ما عند الله باق.

ومن الأعاجيب في التاريخ أن يكون هناك شاب عمره أربع وثلاثون سنة، ولا يملك شيئاً في الحياة، لا بيتاً ولا زوجة، ولا ذرية يحملون اسمه ولقبه، ولا حتى وطن!

فهو يسير من أرض إلى أخرى، ويلبس الثياب المرقعة، وعندما يجنّ عليه الليل يأوي إلى برية أو على إحدى الكهوف لينام في داخلها، وكان يقول: «فراشي التراب ووسادتي المَدَر - وهي الأحجار الصغيرة - وسقفي السماء وشرابي الماء وطعامي ما أكلت الوحوش...». (بحار الأنوار:١٤/٣٢١)

فهو لا يجد حتى طعاماً ليأكله، فيأكل من نباتات الأرض والأعشاب، أما الذين آمنوا به فكانوا اثني عشر شخصاً - كما يقال -.

وينقل أنّ أحدهم قد خانه فبقي أحد عشر فقط، وذلك الشاب هو النبي عيسى ابن مريم على نبينا وآله وعليه وعلى أمه صلوات الله وسلامه الذي يزعمون أنهم صلبوه، ونعتقد أن الله تعالى رفعه إليه.

هذا الرجل يحرّك التاريخ منذ أكثر من ألفي عام، فأية عظمة تجعل إنساناً يحرك التاريخ على مدى ألفي عام؟ واليوم تستمعون في كل أرجاء العالم، من خلال وسائل الإعلام من إذاعات عائدة للمسلمين والمسيحيين، وأيضاً صحف وكتب كلها تذكر اسم عيسى المسيح؛ فما السبب وراء ذلك؟

إنه عدم الارتباط بالعظمة المادية، بل الارتباط بالعظمة الربانية.

عظمة الإمام الحسين عليه السلام في الأديان الأخرى

إن العظمة التي نجدها في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا نجدها في أي شخص آخر على مر التاريخ - علماً أنّ رسول الله صلى اللّه عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعظم من الإمام الحسين عليه السلام - وهذا التعظيم ليس خاصاً بنا نحن الشيعة، بل إنّ كافة المسلمين ومن غير المؤمنين يعظمون الإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

ينقل أنه في إحدى البلاد البعيدة هنالك قرية هندوسية، وفي كل شهر محرم الحرام يقيم أهلها الهندوسيون مجلس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، ويدعون الخطيب ليرتقي المنبر ويقرأ لهم المصيبة ويبكون كما نبكي نحن، بل إنهم يطبخون الطعام للمعزين كما نفعل في بلادنا، لكن لا يقدمون طعامهم لهذا الخطيب تفادياً للإحراج، ويقولون: (إنكم لا تأكلون من طعامنا)!

هذه العظمة إنما جاءت لأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تفانى في الله وربط نفسه بالله، ومما كان يقوله أو هو عن لسان حاله:

تركت الخلق طراً في هواكا
وأيتمتُ العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربا
لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

ونقرأ في زيارة الأربعين: «فبذل مهجته فيك...»، أي إنّ هذه العظمة هي عظمة إلهية، لذا تكون باقية.

من هنا علينا السعي ما أمكننا للارتباط بالله سبحانه وتعالى حتى نضمن البقاء، فبالقدر الذي نربط أموالنا بالله نكون باقين، كما أنّ الذين ربطوا أنفسهم بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال بناء الحسينيات فإن ذكراهم تبقى عد موتهم، فالإنسان يموت وتذهب أمواله، لكن المسجد والحسينية تبقى له في هذه الدنيا، وتبقى أيضاً عند الله سبحانه وتعالى وهو الأهم.

السرّ الإلهي

ذهب المستنصر بالله وهو أحد الحكام العباسيين إلى سامراء فرأى مرقد الإمامين الهادي والعسكري صلوات الله وسلامه عليهما بذاك الجلال والبهاء - وذلك لم يكن بالشكل الموجود اليوم - فيما الناس يأتون إليه بالنذور ويهدون إليه الستائر والقناديل والشموع ويتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى بمقام هذين الإمامين عليهما السلام، ثم بعدها انتقل إلى مقابر العباسيين، وإذا به مكان مقرف وخربة وأبنية مهدّمة لا سقف لها، وتشرق عليها الشموس فتصهرها صيفاً، وفي الشتاء ينزل عليها المطر، كما تسرح فيها الحيوانات السائبة وتفعل ما تفعل!

فقال أحد المرافقين للحاكم العباسي: أيها الأمير، مع وجود القوة والسلطة بأيديكم، ليس من المناسب أن تبقى قبور آبائكم وأجدادكم وكبار بني العباس على هذه الشاكلة، فيما ترى قبر الهادي والعسكري - عليهما السلام - بهذه الدرجة الرفيعة؛ فأجاب المنتصر: (إنّ هذا سرّ إلهي...). (الأنوار البهية:٣٣١)

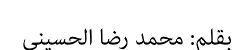
نعم إنها قضية غيبية وليست قضية بشرية، فهي ليست بأيدينا، ومهما شجعنا الناس ورغبناهم لزيارة قبر المتوكل - مثلاً - فإنهم لا يجدون المبرر لهذه الزيارة، فكونه كان حاكماً أو ثرياً، فإنه تحت التراب لا قيمة له عند الناس ولا عند الله، لأنّ المال والثراء والسلطة لا تساوي شيئاً عند الله سبحانه وتعالى.

لذا لا يوجد أحد يرغب بزيارة قبر المتوكل العباسي أو قبر أبي العباس السفاح أو أمثالهم، والحاكم العباسي يقرّ بعجزه عن حمل الناس على زيارة قبور العباسيين وإعمارها والاهتمام بها، لأنها قضية دين وعقيدة، ومسألة مرتبطة بالسر الإلهي.

بالمقابل نلاحظ قبر سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما فبالرغم من أنه كان في ظل عدو التشيّع وعدوه يزيد بن معاوية (لعنه الله) وعدو الدين وعدو الله سبحانه وتعالى وحتى عدو الإنسانية، من دون أن يتمكن من فعل شيء، فإنّه بقي مكاناً يؤمّه الزائرون من مختلف البلاد، والسبب هو أن المسألة خارجة من يد العدو، فإرادة الله أقوى من أيّة إرادة أخرى.

إذن عظمة سيد الشهداء الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي من عظمة الله سبحانه وتعالى، وبمقدار ما نتمكن أن نخصص من أموالنا عشرة المائة - مثلاً - لله سبحانه وتعالى، وكان متعارفاً عند الأخيار قديماً أنّهم كانوا يخصصون ثلث أرباحهم لسيد الشهداء عليه السلام، ينفقونها للحسينيات ولنشر الكتب التي تؤلف عن الإمام الحسين عليه السلام وأيضاً للاحتفالات البهيجة التي تقام باسم الإمام الحسين، وربما لا يتمكن البعض من ذلك، فبإمكانه التشجيع على ذلك أو المساهمة فيه، بل يتمكن من توزيع الشاي في مجالس الإمام الحسين عليه السلام وهذا يُعد فخراً للإنسان أن يكون خادماً في مجالس الإمام الحسين عليه السلام، بل فخرٌ لمن ينظم أحذية القادمين إلى مجالس الإمام الحسين عليه السلام، وإلا فسيقول الإنسان بعدئذ: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾. (الفجر:٢٤)

وقال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (النحل:٩٦)



بقلم: محمد رضا الحسيني

أنا الحسين بن علي

كان يزيد بن معاوية (لعنهما الله) جالساً على سرير فوقه غطاء من الديباج المزركش تتناثر عليه الطنافس الملونة في أحد قصور الأمويين في مدينة (حوارين) الواقعة شمال دمشق، بين حمص وتدمر، والتي كان يسكنها بقايا من النصارى الآراميين، وتمتاز بخرائبها وآثارها القديمة ومرابعها الواسعة التي كان غالباً ما يتردد عليها يزيد للصيد والقنص.

تقدم فارس ملثم طويل القامة من أحد حراس يزيد وهو يحمل قرطاساً قبض عليه بعناية، وأسرّ له قولاً.

فدخل الحارس على يزيد (لعنه الله) وقال له: لقد أتاك بريد من دمشق، وهو يطلب الدخول.

فنهره يزيد بصوت مخمور، قائلاً: إليك عني يا هذا، وأخبره أن ينتظر حتى الصباح.

فرجع الحارس إلى الفارس، ونقل إليه قول يزيد. فقال له الفارس بلهجة جادّة وحاسمة: أخبره أنّ الأمر يتعلق بالحكم، وليس من سبيل لإرجائه حتى الصباح.

فدخل الحارس ثانية على يزيد، وأخبره بكلام الفارس.

فاعتدل يزيد في جلسته، وقال له: فليدخل.

فحلّ الفارس لثامه، ودخل وسلم على يزيد، ووقف بين يديه، وناوله القرطاس.

ففضّه يزيد، وقرأه.

وكان كتاباً من الضحّاك بن قيس رئيس الشرطة، يخبره بموت معاوية بن أبي سفيان، ويحثّه على الإسراع في القدوم حتى يجدّد أخذ البيعة.

وكان معاوية قبيل مرضه الذي مات فيه قد أخذ البيعة ليزيد على كرهٍ من الناس بحيلة له مع جماعة من الذين يتشيعون لبني أمية، ومنهم المغيرة بن شعبة، والضحاك بن قيس الفهري، وعمرو ابن سعيد بن العاص الملقب الأشدق، ويزيد بن المقنع العذري؛ بينما امتنع عنها نفر من المدينة المنورة.

فلما علم يزيد بموت أبيه، حزم أمره وتعجّل يطلب دمشق.

فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفن معاوية.

وكان الضحاك بن قيس قد خرج لاستقبال يزيد على مشارف دمشق في جمع من الناس، فتقدّم يزيد في طريقه إلى دار الحاكم.

فلحق به الضحاك، وأشار عليه بالذهاب أولاً إلى قبر أبيه.

فنزل على رأيه، وذهب إلى قبر معاوية وألقى عليه نظرة، ثم انثنى على المسجد وارتقى المنبر، وخطب في الناس، فقال: (أيها الناس، لقد كان معاوية عبداً من عبيد الله، ثم قبضه الله إليه، ولا أزكيه على الله فإنه أعلم به، إن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر من بعده، ولست آسى على طلب ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئاً كان؛ ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، وإني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر، وكان يشتّيكم بأرض الروم، ولست مشتّياً أحداً بأرض الروم، وكان يخرج عطاءكم أثلاثاً، وأنا أجمعه كله لكم).

وكان يزيد بذلك يمينهم بالراحة والسلامة والثراء، بينما هو قد طوى جوانحه على إعدادهم للمواجهة المرتقبة التي كان قد عقد العزم عليها ووطّد نفسه على خوضها في الداخل.

فلما أنهى يزيد خطبته، لم يتقدم أحد لتعزيته، ولم يمد له الحاضرون يداً. فأسقط في يده!

ولكنه تماسك وأخفى حنقه.

وظل رابط الجأش، إلى أن قام رجل اسمه عبد الله بن همام السلولي، فقال: يا أمير، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية. فتبعه رجل من ثقيف.. وآخر.. وآخر.

ثم أخذ الناس يعزونه بموت أبيه، ويهنئونه بتوليته الحكم.

فما لبث يزيد أن أقبل عليهم رغبة في التلميح إلى ما هو مقدّم عليه، ليستشف ما تنطوي عليه نفوسهم فقال: (أبشروا يا أهل الشام، فإن الخير لم يزل فيكم، وستكون ملحمة بيني وبين أهل العراق، فمنذ ثلاث ليال رأيت في منامي كأن نهراً يجري بالدم جرياً شديداً بيني وبين أهل العراق، فجعلت أجهد نفسي لأجوزه، حتى جازه بين يديّ عبيد الله بن زياد، وأنا أنظر إليه ولم أقدر..)!

فصاح أهل الشام: امض بنا حيث شئت يا أمير، فإن معك سيوفنا وقلوبنا؛ فأجزل يزيد لهم العطاء، وبعثر فيهم الأموال.

وخرج إلى دار الخلافة؛ واستتب الأمر ليزيد بن معاوية في دمشق، وتربع على الأريكة، وقبض على صولجان الحكم، ولم يكن يعكّر صفوه إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد.

بقلم: معروف عبد المجيد



الذين هدّموا قبور أهل البيت عليهم السلام

الحقيقة أنّ تاريخ المسلمين ليس مدنساً في وقائع بعينها، قدرَ ما هو مدنسٌ في وقائع نبش القبور نكاية بأصحابها.

ذلك تاريخ أقل ما يقال فيه اليوم إنه ملطخ بالعار.

وإنّ مسألة نبش القبور وهتك حرماتها والعبث بجثث الموتى كيداً ولؤماً وحقداً، قضيةٌ ليست جديدة في تراث المسلمين، ولا هي طارئة على سِيَرهم.

فمنذ فجر الإسلام، كان بعض كبار الصحابة يوصون بأن يُدفنوا ليلاً، أو سراً، أو في قبور مموّهة، مخافة أن يتعرض جثمان أحدهم للنبش! ولقد تكررت مثل هذه الوصايا مع علي بن أبي طالب، وقبله مع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نفسها.

ثمّ إنّ الأمويين قاموا بنبش قبر زيد بن علي وأوعزوا بأن يُصلبَ وهو بعدُ جثة! ثمّ إنهم لم ينتهوا حتى أحرقوا جثته، وقد نثر ما تبقى من عظامه في الفلاة!

ومن عجيب التصاريف أن معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ العباسيون بنبش قبره، كان هو نفسُه أول من أمر بنبش قبور الصحابة، حينما عهد إلى واليه في المدينة أن ينبش قبور شهداء معركة أحد، وأن يخرجهم من مثواهم، بتعلة أنه يريد إجراء عين ماء في ذلك المكان الذي دفنهم النبي فيه، قبل قرابة خمسين عاماً!(كتاب الجهاد لابن المبارك:١/٨٤)

وفي زمن العباسيين عام ٢٣٦ هجري، بعث الخليفة المتوكل بجنوده إلى قبر الإمام الحسين بن علي في كربلاء، ليهدموه وينبشوه. وأمرهم أن يحرثوا بالبقر موضعَ القبر، وأن يبذروه ويسقوه، وأن يُجرَى عليه الماءُ حتى يُطمَسَ كل أثر له، فيمتنع الناس عن إتيانه!(تاريخ الأمم الملوك للطبري:٩/١٨٥)

وفي سنة ٤٤٣ هـ، نبش الحنابلة قبر الإمام موسى بن جعفر الكاظم في باب التبن (الكاظمية اليوم)، ونهبوا مقامه، ثمّ أحرقوا المقام.

ويذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أنّ السُنيَّة الحنابلة (قصدوا مشهد باب التبن فنقبوا في سوره فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وسُتور وغير ذلك. فلمّا كان الغد، كثر جمعهم فقصدوا المشهد، وأحرقوا

جميع الترب والآراج، واحترق ضريح موسى، وضريح ابن ابنه محمّد بن عليّ الجواد، والقُبّتان الساج اللتان عليهما... وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجرِ في الدنيا مثله! فلمّا كان الغد خامس الشهر من ربيع الأول (٤٤٣ هـ) عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن عليّ لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفرُ إلى جانبه). (الكامل في التاريخ لابن الأثير:٨/٥٩)

نهب حجرة النبي

لم يكن انتهاك ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة، خاتمة المطاف عند الوهابيين.

فبعد قرابة عامين من مأساة الروضة الحسينية، تلقت الروضة النبوية، في المدينة المنورة، ضرباً مشابهاً من النهب والسلب والانتهاك، على يد (إمام المسلمين) سعود الكبير آل سعود!

ولقد سار سعود بجيشه الوهابي إلى المدينة المنورة، بعد أن فعل الأفاعيل في أهالي مدينة الطائف، في شهر آذار ١٨٠٣ (ذو القعدة ١٢١٧هـ).

ويصف المؤرخ السيد أحمد دحلان ما قام به الوهابيون من مجازر في الطائف فيقول: (ولمّا دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عاماً، واستوعبوا الكبير والصغير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع، وصاروا يصعدون البيوت يُخرجون من توارى فيها، فيقتلونهم.

فوجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعاً، ثم خرجوا إلى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها... يقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد، حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات). (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام:٢٩٧)

ومن بعد أن نشر ابن سعود الرعب في بلاد الحرمين، عبر هذه المذبحة، تمكن من أن يُحكِم سيطرته على مكة التي سلّمها له أهلها من دون قتال، في ٧ محرم ١٢١٨هـ (أيار ١٨٠٣).

ويصف دحلان ما أقدم عليه الوهابيون في مكة، قائلاً: (بادروا بهدم المساجد ومآثر الصالحين، فهدموا أولاً ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة، ثم هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومولد أبي بكر، ومولد سيدنا علي عليه السلام، وقبة السيدة خديجة عليها السلام، وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين... وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون... وبالغوا في شتم القبور التي هدموها.

حتى قيل إنّ بعضهم بـالَ على قبر السيد المحجوب، وبعد ثلاثة أيام من عمليات التدمير المنظّمة، مُحيت الآثار الإسلامية في مكة المكرمة). (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام:٣٠٢)

ومن بعد أن فرغ آل سعود من تدمير آثار مكة، صوّب وجهه نحو مدينة رسول الله، فبعث إلى أهلها طالباً منهم أن يبايعوه، فامتنعوا.

فأقبل إليهم مقتحماً عليهم بلدهم، فقاتلوه فغلبهم، ثم إنه أباح المدينة لجنوده... أما هو فقد توجّه إلى الحجرة النبوية.

يروي حسن الركي مؤلف كتاب (لمع الشهاب)، ما حدث في المسجد النبوي بقوله: (طلب (آل سعودُ) الخدمَ السودانَ الذين يخدمون الحرم النبوي؛ فقال: أريد منكم الدلالة على خزائن النبي؛ فقالوا بأجمعهم: (نحن لا نوَليك عليها، ولا نسلطك)؛ فأمر بضربهم وحبسهم حتى اضطروا إلى الإجابة، فدلوه على بعض من ذلك، فأخذ كل ما فيها... وكان فيها من النقود ما لا يحصى، وفيها تاج كسرى أنو شروان، الذي حصل عند المسلمين لمّا فتحت المدائن، وفيها سيف هارون العباسي، وعقد كان لزبيدة زوجته، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند لحضرته صلى الله عليه وآله وسلم، تزييناً لقبّته؛ وأخذ قناديل الذهب وجواهر عديدة). (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب:١٠٨)

وبعد أكثر من قرن من ذلك الزمان... أكمل (كبيرهم عبد العزيز آل سعود)، ما بدأه سلفه سعود الكبير.

فهدم مقامات أئمة آل البيت عليهم السلام، في مقبرة البقيع بالمدينة، ونهبها.

ثم مضى في مكة، إلى قبر السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى قبر أمه السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام، فهدمهما ومحا أثرهما من على وجه الأرض... فكان بذلك أشبهَ خلف بالسلف!

بقلم: كاظم حسن الفتلاوي



يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب

إنّ هذه الفقرة واردة في زيارة العسكريين عليهما السلام وزيارة الرضا عليه السلام أيضاً المروية عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، والظاهر جريان ذلك في الحجة عجل الله فرجه وعليه السلام وإن كانت زياراته خالية منها إلا أن الروايات لا تخلو عن التنبيه عليه والإشارة بل بعضها نص فيه، منها ما في الكافي عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «يَا ثَابِتُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي السَّبْعِينَ فَلَمَّا أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَخَّرَهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فَحَدَّثْنَاكُمْ فَأَذَعْتُمُ الْحَدِيثَ فَكَشَفْتُمْ قِنَاعَ السَّتْرِ وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتاً عِنْدَنَا وَيَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»، قَالَ: أَبُو حَمْزَةَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: «قَدْ كَانَ كَذَلِكَ».(الكافي:١/٣٦٨)

وغيرها من الأخبار الظاهرة في أن ساعة ظهوره عليه السلام من العلم المكنون المخزون الذي فيه البداء يقدم ويؤخر كيف شاء الله، فيكون أمر البداء ثابتاً في الأئمة الستة الأخيرة من موسى إلى الحجة عجل الله فرجه وصلوات الله عليهم أجمعين، وإن اختلفت وجوهه فيهم عليهم السلام ولم يكن على وجه واحد.

أما البداء الذي وقع في شأن أبي الحسن موسى بن

جعفر عليهما السلام فيحتمل على وجهين:

الأول: وهو الذي ذكره جل من العلماء أن أكثر الأصحاب في زمن الصادق عليه السلام كانوا يظنون أن الإمامة والوصاية تنتقل إلى ابنه الأكبر إسماعيل لما يرون منه شدة حبه عليه السلام إياه وكان أكبر أولاده ذا جمال وحسن وكمال ولأمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن الحسن عليهم السلام وبوجود هذه الخصال وغيرها زعموا أنه أولى بأمر الإمامة وشأن الولاية والوصاية، لاسيما كونه ابن حرة علوية فاطمية، ولعمري إنه لمزيد فخر وشرف فبدا لله فيه أن توفاه في حياة الصادق عليه السلام وكان فعل به بعد موته ما فعل من كشفه عن وجهه بعد تكفينه وتقبيله غير مرة إتمام للحجة أنه ميت لا غائب، وأن أمر الإمامة لله يجعله حيث يشاء ليس بمحبة مخلوق وهو به، وكل ذلك لئلا يفتتن الناس به عمن جعله الله ولياً وقيماً على خلقه وحافظاً لدينه، ومع هذا كله قد افتتن به وتاه عن سبيل هداه خلق كثير وقالوا إنّ الإمامة في ولده كل من خرج بالسيف ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾. (التوبة:١١٥)

فاقتضت حكمته سبحانه موت إسماعيل رحمة الله عليه في حياة أبيه عليه السلام وأراد ذلك لمصلحة عامة رحمة للمؤمنين وإتماماً لكمال الحجة للظالمين فأظهر بذلك ما كان خفياً عندهم من إمامة موسى عليه السلام ووصايته وأثبته بعدما كان غير ثابت لديهم ومحا ما كان مثبتاً وظاهراً في نفوسهم من أمر إسماعيل، وتشير إليه روايات يمكن أن يستدل بها، منها ما روي في المجمع عن الصادق عليه السلام قال: «ما بدا لله في شيء كما بدا في إسماعيل ابني». (أسرار التوحيد:٣٧٩)

وعن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل وقال: «أَقْرِئِ الْمُفَضَّلَ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ إِنَّا قَدْ أُصِبْنَا بِإِسْمَاعِيلَ فَصَبَرْنَا فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا إِنَّا أَرَدْنَا أَمْراً وَأَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْراً فَسَلَّمْنَا لِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». (الكافي:٢/٩٢)

وما رواه الميرزا في رجاله في ترجمة عبد الله بن شريك عن رجال الكشي عن عبد الله بن محمد قال: حدثني الحسن بن علي الوشا، عن أحمد بن عائد، عن أبي خديجة الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِسْمَاعِيلَ أَنْ يُبْقِيَهُ بَعْدِي فَأَبَى، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَعْطَانِي فِيهِ مَنْزِلَةً أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْشُورٍ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَرِيكٍ الْعَامِرِيُّ وَفِيهِمْ صَاحِبُ الرَّايَةِ». (مختصر البصائر:١١٥)

وفي الكافي عن إسحاق بن محمد عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعدما مضى ابنه أبو جعفر وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول كأنهما أعني أبا جعفر وأبا محمد عليهما السلام في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمد عليهما السلام، وأن قصتهما كقصتهما إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر، فأقبل علي أبو الحسن عليه السلام قبل أن أنطلق فقال: «نعم يا أبا هاشم، بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليهما السلام ما لم يكن يعرف له كما بدا له في موسى عليه السلام بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة». (الكافي:١/٣٢٧،ح ١٠)

وكان أبو جعفر اسمه محمد أصغر سناً من أخيه أبي محمد الحسن عليه السلام وكان يظن لهذا الأمر كإسماعيل فبدا لله فيه فأماته فمحا ما في نفوس بعض الناس من الظن وأثبت في أبي محمد عليه السلام ما لم يكن يعرف له كما كشف عن حال موسى عليه السلام بمضي إسماعيل من إثبات إمامة الباقي بمضي الماضي كما يدل عليه ما فيه عن علي بن جعفر قال كنت حاضراً عند أبي الحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: «يا بني أحدث لله شكراً فقد



أحدث فيك أمراً». (الكافي:١/٣٢٦،ح٤)

ورواية أخرى مثله معنى بتفاوت يسير.

ولا يخفى ما في هذه الرواية من صراحتها فيما ذكر من معنى البداء أن الواقع في شأن موسى عليه السلام كشفه سبحانه عن حال موسى عليه السلام ما كان مستوراً لبعض من العباد وإيضاح إمامته، ورفع اشتباه المتوهمين أن لها أهلاً غيره عليه السلام، وكذلك في شأن سائر الأئمة الخمسة الأخيرة صلوات الله عليهم، فيكون ما وقع في إسماعيل رحمه الله من البداء موته قبل الصادق عليه السلام وعدم بقائه بعده، وقد سأل الله له ذلك ودعاه وهو السبب الأقوى لبقائه لكنه سبحانه أماته في حياته مع وجود السبب والمقتضي لبقائه لمانع أقوى منه وهو بقاء كثير ببقائه في الشبهة والحيرة عن طريق هداهم لعدم معرفتهم إمامهم وملجأهم، فاقتضت حكمته سبحانه إماتته إبلاغاً للحجة وإيضاحاً للمحجة لئلا يكون للناس حجة، ففيه مصلحة عامة وتشمله وجميع الأمة، أما صلاح الأمة فواضح وكذلك صلاح إسماعيل لئلا يغتر به الناس وأبدله سبحانه أن يكون أول منشور في ثلة من المؤمنين فينصر به الدين كما يدل عليه رواية الرجال عن أبي خديجة الجمال، فمقتضى موته أقوى من مقتضى بقائه كما أن مانع موته أقوى من مانع موته وهذا هو الذي في الرواية الثانية من قوله: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً فسلمنا الأمر لله»، يعني أراد عليه السلام حياة إسماعيل وأراد سبحانه موته لمنافع شتى، وكذلك قوله في أول الروايات «ما بدا لله شيء كما بدا له في إسماعيل ابني» يعني أن البداء فيه إماتته قبله عليه السلام أعظم من سائر ما وقع فيه البداء إذ كان وقوعه بعد السؤال والدعاء له بالبقاء، ودعاء المعصوم عليه السلام لا يرد بل يستجاب، فصار بقاؤه بدعائه منبتاً مبرماً قبل أن يوجد له مانع يمنعه، فلما وجد ما هو أقوى منه مما ذكر من الحكمة والمصلحة العامة وأنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة أن لا يهلك أحداً من الأمة إلا بعد إقامة الحجة وإبانة الطريق ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾. (الأنفال:٤٢)

محا ما أثبته بدعوة الإمام عليه السلام من بقائه وأثبت ما كان ممحواً بها فلأجل ذلك صار أعظم فافهم، ولا تتوهم أن دعوته عليه السلام قد ردت ومسألته ما استُجيبت حاشاهم بل أفعالهم مثل أقوالهم.

فكما إذا أخبروا عن شيء يكون ثم ما كان لمانع له من عالم الشهادة فقد صدقوا أنفسهم إذ كانوا أخبروا أيضاً بوجود المانع وتغييره، وإذا أخبروا فكان ما أخبروا فقد صدقوا أنفسهم، فكذلك دعاؤهم وسؤالهم عن الله سبحانه من غير تفاوت، لكن سر إخبارهم ودعائهم سيجيء إن شاء الله تعالى فانتظر حتى يأتي محله إذ إجماله يخل ولا يفيد والتفصيل عن مقتضى المقام بعيد.

بقلم: الميرزا محمد باقر الحائري



الـرجـعـة والمـعـاد الأكـبر

حقيقة الرجعة وامتيازها عن التناسخ والمعاد

تختلف الرجعة في حقيقتها عن طبيعة الحياة الأُولى والولادة في دار الدنيا، كما أنّها تختلف أيضاً عن التناسخ والنسخ، وتختلف - كذلك - عن المعاد الأكبر في يوم القيامة.

والرجعة في تعريف كثير من علماء الإماميّة هي معادٌ أصغر، ولكن هناك بعض الاختلاف بين الرجعة والعَوْدِ الأصغر إلى دار الدنيا، وبين المعاد الأكبر.

ويمكننا تعريف الرجعة بكلمات مضغوطة ومختصرة وهي: أنّ الرجعة عبارة عن عَودة الإنسان إلى دار الدنيا بجسده الدنيوي الذي جُعل في القبر - يعني خروج الإنسان من القبر إلى دار الدنيا - هذه هي الرجعة، بخلاف القيامة الكبرى، فهي رجوع الإنسان بجسده من القبر، ولكن ليس إلى دار الدنيا، بل إلى الدار الآخرة.

فإذن هناك اشتراك بين المعاد الأكبر الجسماني والرجعة في أنّ الرجوع بالجسم، ولكن تختلف الرجعة كمعاد أصغر عن المعاد الأكبر، بأنّ الرجعة رجوع الإنسان بجسمه إلى دار الدنيا، أمّا في المعاد الأكبر، فرجوعه إلى الدار الآخرة.

فيكون الرجوع التكويني في القيامة بالجسم إلى دار الآخرة، بينما في الرجعة يكون الرجوع إلى دار الدنيا، وهي الأرض، أرض الدنيا، فكلٌّ منهما رجوع بالجسم، ولكن الرجوع مختلف.

هذه هي جهة افتراق حقيقة الرجعة عن المعاد الأكبر.

وأمّا فرق الرجعة عن التناسخ، أو عن الحياة الأُولى حين الولادة، فهو يكمن في كون الحياة الأُولى - التي

تولَّدَ منها الإنسان - عبارة عن خروج وولادة من أرحام الأُمّهات ونطف الآباء، بينما في الرجعة عَود الإنسان بجسمه من القبر.

ومِن ثَمَّ كان هناك اختلاف من هذه الجهة أيضاً بين الرجعة والتناسخ.

طبعاً التناسخ معتقدنا باطل، بينما الرجعة عقيدة حقّة، والتناسخ على اختلاف مذاهب القائلين به له تعريف مشترك: وهو عبارة عن عَود الإنسان إلى نطفة جديدة في رحم جديد، سواء كانت نطفة في رحم إنسان أو رحم حيوان، أو كانت بذرة نبات أو طينة جماد، فهنا التناسخيّة يقولون: إنّ العَود إمّا إلى إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، والمهمّ هو أن تتعلّق الروح العائدة من القبر لا بالجسم السابق، بل بمادّةٍ جسمانيّة جديدة أُخرى، وتبدأ دورة جديدة، إمّا دورة جماديّة أو دورة نباتيّة أو دورة إنسانيّة، تبدأها من جديد.

وهذا هو الفرق الثاني بين حقيقة وماهية التناسخ وبين ماهية الرجعة.

رجعة الإمام الحسين عليه السلام ببدنه إلى الدنيا من قبره الشريف

بعد معرفة الرجعة بشكل عام، فإنّ رجعة سيّد الشهداء هي رجعة أيضاً ببدنه سلام الله عليه من قبره الشريف إلى دار الدنيا، وهو أوّل المعصومين رجوعاً.



فقد روى الحسن بن سليمان الحلّي في مختصر بصائر الدرجات، بسنده عن محمد بن مسلم، قال: (سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدّثان جميعاً - قبل أن يحدث أبو الخطاب ما أحدث - أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أول مَن تنشقُّ الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي عليهما السلام». (مختصر بصائر الدرجات:٢٤)

وروى في المختصر أيضاً، بسنده عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّ أول مَن يرجع لَجاركم الحسين عليه السلام، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر». (مختصر بصائر الدرجات:٢٢)

ويرجع في أواخر حياة ودولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عند الظهور، يرجع سيّد الشهداء إلى دار الدنيا من قبره، ويكون هناك تزامن مع أواخر دولة الإمام المهدي، ثمّ بعد فترة يُقتل الإمام الثاني عشر وتكون الإمامة لسيّد الشهداء عليه السلام.

فقد أخرج الكليني في الكافي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيهِمْ﴾ - قال: «خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهب، لكل بيضة وجهان، المؤدّون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه، وأنّه ليس بدجال ولا شيطان، والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام، جاء الحجّةَ الموتُ، فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنطه ويُلحده في حفرته الحسين بن علي صلى الله عليه وآله، ولا يلي الوصي إلا الوصي». (الكافي الشريف:٨/٢٠٦

وجاء في مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قُتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته». مختصر بصائر الدرجات:٤٨.٤٩)

غاية الرجعة وأهدافها

إنّ غايات الرجعة وفلسفتها بصورة عامّة تكمن في كون هذه الحياة الدنيا قد قدّر الله تعالى لها أن تبلغ بأهلها كمالات عالية، ولكن جور الظالمين، والفساد في الأرض حجب هذا المشروع الإلهي؛ وبالتالي فإنّ كلّ فرد له كماله

المنشـود الـذي لا بدّ أن يصل إليـه، والرجعة عبارة عن فتح بـاب الفرصة مرّة أُخرى؛ لتكامل كل إنسـان وبلوغه الكمال المنشود، ولتُفتح له فرص التكامل وفرص الخير في ظل دولة العـدل؛ لأنّه من دون دولة العدل لا يمكن أن تُفتح للإنسـان الفرصـة والمجـال ليبلغ كمالـه، ولا المجتمعات ولا الشـعوب أيضـاً تكـون قادرة علـى نيل كمالاتهـا، بينمـا في ظل دولة العـدل يمكن حصول ذلـك لكلّ إنسـان، بل إنّ هـذا قانون عـامّ، يُلقـي بظلاله علـى كل البيئـات، ولا يختصّ بالبيئة الإنسانية، فحتّى بيئة الجنّ والنباتات والحيوانات والطبيعة وكل البيئات الأُخرى، لا يمكن أن تبلغ الكمال المنشـود إلاّ في دولة العدل.

فلسفة رجعة الإمام الحسين عليه السلام



إنّ رجوع سـيد الشـهداء لها ميزان وضابطة ومنوال على منوال رجـوع بقيّة أئمة أهل البيت عليهم السـلام، وهي أنّ الله عز وجل أمر كلّ إمام من أئمة أهل البيت أن يقوم بمهمّة خاصّة في الأرض، وهذا هو الذي ورد في رواية إِسْـمَاعِيلَ بْنِ مِهْـرَانَ عَـنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ كَثِـيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السـلام أنّه قَـالَ: «إِنَّ الْوَصِيَّةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّـمَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَاباً - أي مكتوباً بخط إلهي مشـاهد من عالم الأمر كما أن جبرئيل عليه السـلام كان ينزل عليه في صورة آدمي مشاهد من هناك - لَمْ يُنْزَلْ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كِتَـابٌ مَخْتُـومٌ إِلَّا الْوَصِيَّـةُ، فَقَـالَ جَبْرَئِيلُ عليه السـلام يَا مُحَمَّـدُ هَذِهِ وَصِيَّتُـكَ فِي أُمَّتِكَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِي يَا جَبْرَئِيلُ! قَالَ نَجِيبُ اللَّهِ - أي مـن نجبائه بمعنى الكريم الحسـيب، وقد كنى به عن أمير المؤمنين عليه السـلام - مِنْهُـمْ وَذُرِّيَّتُهُ لِيَرِثَكَ عِلْمَ النُّبُـوَّةِ كَمَا وَرَّثَهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السـلام وَمِيرَاثُـهُ لِعَلِيٍّ عليه السـلام وَذُرِّيَّتِكَ مِنْ صُلْبِـهِ، قَالَ وَكَانَ عَلَيْهَـا خَوَاتِيمُ قَالَ:

فَفَتَـحَ عَلِيٌّ عليه السـلام الْخَاتَمَ الْأَوَّلَ وَمَضَـى لِمَا فِيهَا - أي أدى وتمثّـل لما أمر به فيها - ثُمَّ فَتَحَ الْحَسَـنُ عليه السـلام الْخَـاتَمَ الثَّـانِيَ وَمَضَى لِمَـا أُمِرَ به فِيهَـا فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْحَسَـنُ وَمَضَى فَتَحَ الْحُسَـيْنُ عليه السلام الْخَاتَمَ الثَّالِثَ فَوَجَدَ فِيهَا أَنْ قَاتِلْ فَاقْتُلْ وَتُقْتَلُ وَاخْرُجْ بِأَقْوَامٍ لِلشَّـهَادَةِ لَا شَـهَادَةَ لَهُمْ إِلَّا مَعَكَ قَالَ فَفَعَلَ عليه السـلام فَلَمَّـا مَضَى دَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ ابْنِ الْحُسَـيْنِ عليه السـلام قَبْلَ ذَلِـكَ فَفَتَحَ الْخَـاتَمَ الرَّابِعَ فَوَجَدَ فِيهَا أَنِ اصْمُتْ وَأَطْرِقْ - كناية عن عدم الالتفات إلى مـا عليه الخلق مـن آرائهم الباطلة وأفعالهم الشـنيعة - لِمَا حُجِبَ الْعِلْمُ فَلَمَّا تُـوُفِّيَ وَمَضَـى دَفَعَهَا إِلَى مُحَمَّـدِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السـلام فَفَتَحَ الْخَاتَمَ الْخَامِسَ فَوَجَدَ فِيهَا أَنْ فَسِّـرْ كِتَـابَ اللَّهِ تَعَالَى وَصَدِّقْ أَبَـاكَ وَوَرِّثِ ابْنَـكَ وَاصْطَنِعِ الْأُمَّةَ - أي أحسـن إليهم وربّهم بالعلم والعمل - وَقُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَـلَّ وَقُـلِ الْحَقَّ فِي الْخَـوْفِ وَالْأَمْنِ وَلَا تَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَفَعَلَ ثُـمَّ دَفَعَهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ قَالَ: قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَنْتَ هُوَ! قَـالَ: فَقَالَ مَا بِي إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ يَـا مُعَاذُ فَتَرْوِيَ عَلَيَّ - أي ما بي بأسـ في إظهاري لك بأني هـو، إلا مخافة أن تروي ذلك عليّ فأشـتهر به فأقتل بسـببه - قَالَ فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَكَ مِـنْ آبَائِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَـةَ أَنْ يَرْزُقَكَ مِـنْ عَقِبِكَ مِثْلَهَا قَبْـلَ الْمَمَاتِ قَـالَ قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ يَا مُعَاذُ قَـالَ فَقُلْتُ: فَمَنْ هُـوَ جُعِلْتُ فِدَاكَ! قَالَ: هَذَا الرَّاقِدُ، وَأَشَـارَ بِيَـدِهِ إِلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ - أي الإمام موسـى بن جعفر عليهما السلام - وَهُوَ رَاقِدٌ». (الكافي الشـريف:١/ ٢٨٠-٢٨١)

فقـد نزل على النبيّ كتاب مختـوم بخواتيم، خاتم فيه ما أُمِرَ به النبيّ صلى الله عليه وآله، وخاتم فيه ما أُمر به أمير المؤمنين عليه السـلام، وهكـذا الصدّيقة فاطمة والحسـن والحسـين وبقيّة الأئمّة عليهم السـلام، فكلُّ إمام ومعصوم يعمـل بما خُتِمَ في ذلك الكتاب.

إلاّ أنّ الظالمـين حالوا بين أئمة أهل البيت عليهم السـلام وبين القيام بهذه المهمّة والمسؤولية.

ومن ثَـمَّ في رجعتهم عليهم السـلام يُنجـزون ما أمرهم اللّه بـه من مشـاريع إلهيّـة عملاقة على وجـه الأرض، هذه المشـاريع هدفها يكون عبارة عن الوصول للكمال المنشود في المستويات كافّة.

بقلم: الشيخ محمد السند

سلام الله على صادق الوعد

سلام الله على الصادق قولاً وعملاً، سلام الله على من هو للخلق نجاة وهدى، سلام الله على المعطاء الذي أجزل العطاء والندى، سلام الله على البكاء ليلاً الزاهد عن ملذات الدنا، سلام الله على ذي الشمائل والأخلاق العلى، سلام الله على الصابر في المحن والبلاء، سلام الله على من القلوب توّاقة لشم ترابه في البقيع الطهر، السلام عليك يا صادق الوعد.

المنصور الدوانيقي والتضييق على الإمام الصادق عليه السلام

حين تولّى الحكم المنصور الدوانيقي بعد أخيه أبي العباس السفّاح سنة (١٣٦هـ) عبّر عن مكنون حقده على الإمام الصادق عليه السلام وصحبه من العلويين وغيرهم.

وقد لقّب بالدوانيقي لحرصه على المال وبخله رغم أنه جمع ثروات لم يجمعها خليفة قبله، وأصل الدانق (دانه) أي حبة، وهو جزء الدرهم، وذكروا لتسمية المنصور بأبي الدوانيق والدوانيقي أسباباً، يجمعها حرصه على المال، وبنى بغداد، وقام بمشاريع كبيرة! لكنه كان مفرطاً في بخله! وكان المنصور يرقع ثيابه بيده ويُحاسب على الدانق حتى عُرف بالمنصور الدوانيقي؛ وذات مرة مرض المنصور، فاستدعى طبيباً له، فعالجه فتماثل للشفاء وقدم له رغيفاً من الخبز في مقابل إنقاذه من المرض، إلا أن الطبيب علق الرغيف في رقبته، وأخذ يتجول في السوق وانهالت أسئلة الناس عليه دهشة قائلين: ما السبب في تعليقك للرغيف على رقبتك؟؟ فأجاب في سخرية: جائزة الأمير على طبابتي له، وعلى إنقاذ حياته؛ ودق الخبر ردهات قصر المنصور، فاستدعاه وقال له بصلافة: إنك لا تستحق رغيفاً كاملاً مقابل طبابتك لي، فأخذ ثلاثة أرباع القرص وأعطى الطبيب الباقي!!

وقال عنه المؤرّخون: وكان المنصور خدّاعاً لا يتردّد في سفك الدماء وكان سادراً في بطشه مستهتراً في فتكه. (الكامل في التأريخ:٣٥٥/٤)

ووصفه ابن هبيرة وهو أحد معاصريه بقوله: (ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور). (تاريخ اليعقوبي:٣٩٩/٢)

لقد بادر المنصور إلى قتل أبي مسلم الخراساني الذي كان يبغضه، وأبو مسلم هو القائد الأوّل للانقلاب العبّاسي، وذلك بعد أن أعدّ له المنصور مكيدة وأغراه بالمجيء إلى بغداد، وجرّده من جميع مناصبه العسكرية.

ولمّا دخل أبو مسلم الخراساني على المنصور قابله بقساوة بالغة وأخذ يعدّد عليه أعماله وأبو مسلم يعتذر عن ذلك.

ثمّ صفّق المنصور عالياً حسب الاتّفاق مع حرّاسه لتكون الصفقة بمثابة ساعة الصفر، فدخل الحرّاس وبأيديهم السيوف فقال: أبو مسلم للمنصور متوسّلاً استبقني لعدوّك، فصاح به: وأيّ عدو أعدى لي منك؟!

وبمثل هذا الأسلوب أيضاً قد غدر بعمّه عبد الله بن علي حيث أرسل عليه بعد أن أعطاه الأمان ثم قتله بعد ذلك. (تاريخ الأمم والملوك:٢٦٦/٦)

أما مخطّطه الخبيث ضدّ الإمام الصادق عليه السلام

ونهضته الإسلاميّة بشكل عام فقد أخذ ثلاثة اتّجاهات:

الاتّجاه الأول

اتّخذ المنصور في هذا الاتّجاه أسلوباً مرناً محاولاً فيه الاستفادة من جهد الإمام عليه السلام واحتوائه ضمن سياسة الخلافة العباسية فقد كتب إليه: (لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «ليس لنا ما نخافك ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّئك بها ولا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟!»، فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا؛ فأجابه عليه السلام: «من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك». قال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وإنه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا). (كشف الغمة:٢/٤٢٠)

ومن أساليب المنصور مع الإمام عليه السلام في هذا الاتّجاه ما جاء عن عبد الوهّاب عن أبيه حيث قال:

بعث أبو جعفر المنصور إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام وأمر بفرش فطرحت له إلى جانبه، فأجلسه عليها ثم قال عليّ بمحمد، عليَّ بالمهدي؛ فأقبل المنصور على جعفر عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله حديث حدّثتنيه في صلة الرحم، اذكره، يسمعه المهدي؛ قال: «نعم، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن علي عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها الله ثلاث سنين»، ثم تلا عليه السلام: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. (الرعد:٣٩)

قال: هذا حسن يا أبا عبد الله، وليس إيّاه أردت، قال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإنْ كان أهلها غير أخيار». قال هذا حسن يا أبا عبد الله، وليس هذا أردت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتة السوء». قال المنصور: نعم إيّاه أردت. (بحار الأنوار:٤٧/١٦٣)

إنّ السلاطين يخافون الموت، فالإمام عليه السلام ركّز على هذه الناحية وربطها بصلة الرحم لتعالج الحقد والكيد الذي يشغل ذهن المنصور ضدّ الإمام والعلويين من أهل بيته، لذا أكّد عليه السلام عن طريق الأحاديث بأن طول العمر يرتبط بصلة الرحم.

الاتّجاه الثاني

كما تحرّك المنصور بقوة نحو الإمام عليه السلام عن طريق نشر عيونه وجواسيسه التي كانت تراقب حركة الإمام الصادق وترصد نشاطاته لتزوّده بآخر المعلومات، ليتّخذ منها مسوّغاً للنيل من الإمام عليه السلام والتضييق على حركته التي كان يرى فيها المنصور خطراً حقيقياً على سلطانه وبالتالي تمهّد له تلك التقارير أن يصوغ ما يريده من الاتّهامات لأجل أن يتخذها ذريعة في قتله.

وقد تضمّن هذا الاتّجاه جملة من الأساليب.

الأسلوب الأول

عن رزام بن مسلم مولى خالد القسري قال: بعثني أبو جعفر المنصور إلى المدينة، وأمرني إذا دخلت المدينة أن أفضّ الكتاب الّذي دفعه إليّ وأعمل بما فيه؛ قال: فما شعرت إلاّ بركب قد طلعوا عليَّ حين قربت من المدينة، وإذا رجل قد صار إلى جانبي، فقال: يا رزام اتق الله، ولا تشرك في دم آل محمّد قال: فأنكرت ذلك فقال لي: دعاك صاحبك نصف الليل، وخاط رقعة في جانب قبائك، وأمرك إذا صرت إلى المدينة، تفضها وتعمل بما فيها؛ قال: فرميت بنفسي من المحمل، وقبّلت رجليه، وقلت: ظننت أن ذلك صاحبي وأنت يا سيّدي صاحبي، فما أصنع؟ قال: ارجع إليه، واذهب بين يديه وتعال، فإنه رجل نسّاء، وقد أُنسي ذلك، فليس يسألك عنه، قال: فرجعت إليه، فلم يسألني عن شيء، فقلت تصدق مولاي. (دلائل الإمامة:١٢٩)

وعن مهاجر بن عمار الخزاعي، قال: بعثني أبو الدوانيق إلى المدينة، وبعث معي بمال كثير، وأمرني أن أتضرّع لأهل هذا البيت، وأتحفّظ مقالتهم، قال: فلزمت الزاوية التي مما يلي القبلة، فلم أكن أتنحّى منها في وقت الصلاة، لا في ليل ولا في نهار.

قال: وأقبلت أطرح إلى السؤال الذين حول القبر الدارهم ومن هو فوقهم الشيء بعد الشيء حتى ناولت شباباً من بني الحسن ومشيخة (منهم) حتى ألفوني وألفتهم في السّر.

قال: وكنت كلما دنوت من أبي عبد الله عليه السلام يُلاطفني ويكرمني حتى إذا كان يوماً من الأيام بعد ما نلت حاجتي ممن كنت أريد من بني الحسن وغيرهم دنوت من أبي عبد الله عليه السلام وهو يُصلّي، فلما قضى صلاته، التفت إليّ وقال: «تعال يا مهاجر!» – ولم أكن أتسمّى

(باسمي) ولا أتكنّى بكنيتي – فقال: قل لصاحبك: يقول لك جعفر: «كان أهل بيتك إلى غير هذا أحوج منهم إلى هذا، تجيء إلى قوم شباب محتاجين فتدسّ إليهم، فلعلّ أحدهم يتكلّم بكلمة تستحلُّ بها سفك دمه، فلو بررتهم ووصلتهم (وأنلتهم) وأغنيتهم، كانوا إلى هذا أحوج مما تريد منهم».

قال: فلما أتيت أبا الدوانيق، قلت له: جئتك من عند ساحر، كذّاب كاهن كان من أمره كذا وكذا فقال: صدق والله لقد كانوا إلى غير هذا أحوج، وإيّاك أن يسمع هذا الكلام منك إنسان. (الخرائج والجرائح:٢/٦٤٦)

الأُسلوب الثاني

ومن أساليبه باتّجاه سياسة التضييق التي فرضها على الإمام عليه السلام محاولة تسليط الضوء على بعض الشخصيّات ليجعل منها بدائل علميّة تغطّي على الإمام وتؤيّد سياسته وتسهم من جانب آخر في تضعيف القدسية والانجذاب الجماهيري نحو الإمام وتؤدّي بالنتيجة إلى شق وحدة التيار الإسلامي الذي يقرّ بزعامة الإمام عليه السلام وأعلميته وإيجاد الفرقة والاختلاف.

وقد نجح المنصور بهذه الخطوة فكسب البعض من طلاّب الإمام عليه السلام حين أحاطهم بهالة من الاحترام والتقدير وخلق منهم وجوداً قبال مذهب الإمام ونهجه الإسلامي الأصيل.

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة فقال: قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال جعفر بن محمد، لّما أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال يا أبا حنيفة! إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيّأ له من مسائلك الشداد. فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته.

فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخل لأبي جعفر، فسلّمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثم التفت إليه، فقال: يا أبا عبد الله: هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله عليه السلام من مسائلك. فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: «أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا» فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً. حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء ثم قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!. (سير أعلام النبلاء:٩/٥٤٣)

الأُسلوب الثالث

لقد كانت سياسة الإمام عليه السلام إزاء حكومة المنصور ذات طابع غير ثوري، وإنما سلك الإمام نفس نهجه السابق في التغيير والإصلاح، وقد أوحى للمنصور في وقت سابق بأنه لم يكن بصدد التخطيط للثورة ضدّه بل صرّح له في أكثر من مرة بذلك، إلاّ أن المنصور لم يطمئن لعدم تحرك الإمام وثورته التغييرية وذلك بسبب ما كان يشاهده من كثرة مؤيديه.

يحدثنا الإمام الصادق عليه السلام عن الشكوك والتساؤلات التي أثارها المنصور بوجه الإمام عند لقائه به كما في النصّ التالي:

عن حمران قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام وبعد ذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال: «إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه، وهو على فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل، وأنا على حمار إلى جانبه، فقال لي: يا أبا عبد الله! قد كان ينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوة وفتح لنا من العزّ، ولا تخبر الناس أنك أحق بهذا الأمر منا وأهل بيتك، فتغرينا بك وبهم. قال: فقلت: ومن رفع هذا إليك عنّي فقد كذب». فقال: أتحلف على ما تقول؟ قال: فقلت: «إن الناس سحرة يحبّون أن يفسدوا قلبك عليّ، فلا تمكنّهم من سمعك، فإنّا إليك أحوج منك إلينا».

فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ فقلت: نعم طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة في دنياكم حتى تصيبوا منّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام!

فعرفت أنه قد حفظ الحديث، فقلت: لعلّ الله عزّ وجّل أن يكفيك، فإنّي لم أخصك بهذا، وإنما هو حديث رويته، ثم لعلّ غيرك من أهل بيتك يتولّى ذلك، فسكت عنّي». (إثبات الهداة:٥/٣٥١)



ثقافة الانتظار

ثقافة الانتظار.. مفردة من مفردات ثقافة أهل البيت عليهم السلام ومنهج من مناهج أدبيات خطابهم.. إنها ثقافة الإنسانية متجهة نحو كمالاتها في الإصلاح والارتقاء إلى معارج الوعي في علاقتها بهذا الكون ومكنوناته.. هكذا يمكننا أن نقرأ الانتظار بثقافته الإنسانية وبمنابعه الإسلامية الصحيحة، وليس الانتظار كما تصورته مدارس السلطة بأنه الخنوع والاستكانة والخضوع.. إنّه العمل والبناء نحو إنسانية يسودها السلام ويعمها الود والتفاهم.

هذه هي فلسفة الانتظار في مذهب أهل البيت عليهم السلام خلق الإنسان الفاضل وبناء المجتمع الأفضل، ومعنى هذا أن يكون عملاً دؤوباً وإصلاحاً دائماً ضمن آليات وبرامج لا يحسن (فنها) و(صناعتها) إلاّ أهل البيت عليهم السلام.

فلا يقال إنّ ثقافة الانتظار لم تأخذ طريقها في المدارس الأخرى، بل إنّها محقت هذه الثقافة وصودرت إلى رؤية سلبية تعكس شعوراً منكسراً، أو سلوكاً متخاذلاً، أو قصوراً في الوعي تصوره بعض قنوات السياسة بأنه لا يعدو عن انتظار لحدث لا يدخل في شأنه أحد من أولئك الذين يتطلعون إليه، وإنها هي حالة تمن لا تتعدى أحلام الخيبة وآمال اليائسين، وبهذا يأخذ الانتظار في مفاهيم الآخر منحى متكاسلاً لا يتعدى عن تصورات غير حقيقية، في حين كاد الانتظار في مفهوم مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يكون ثورة، وبالفعل فهو ثورة إصلاح ومحاولات تغيير ضمن آليات وضع أسسها أهل البيت عليهم السلام ونفذها أتباعهم ضمن برنامج حثيث يشمل خطاباً متكاملاً وينظم سلوكاً قويماً يتكفل ببناء شخصية المنتظر، وبصيغة أخرى كيف تكون منتظراً حقيقياً ضمن سير تكاملي في الرؤية والسلوك؟

بقلم: السيد محمد القبانجي



آيـــــة الـتـطـهـيـر

لا يخفى أنّنا لازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو الفهم الصحيح والإفهام المناسب لعقائدنا الحقّة ومفاهيمنا الرفيعة، ممّا يستدعي الالتزام الجادّ بالبرامج والمناهج العلمية التي توجد حالة من المفاعلة الدائمة بين الأمّة وقيمها الحقّة، بشكل يتناسب مع لغة العصر والتطوّر التقني الحديث.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب:٣٣)

هذه الآية في القرآن الكريم ضمن آيات تتعلّق بزوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واقرأ الآيات: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾. (الأحزاب:٣٢-٣٤)

هذه الآية المباركة أيضاً من جملة ما يستدلّ به من القرآن الكريم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

وهناك خطوط لابد أن ترسم وأن تجري الأمور على أساسها، وأنّ القرآن الكريم لم يأت فيه اسم أحد، وكل آية يستدل بها على إمامة أمير المؤمنين أو غير أمير المؤمنين، لابد وأن يرجع في دلالتها وفي شأن نزولها إلى السنّة المفسّرة لتلك الآية، أي سنة أهل البيت عليهم السلام، والسنّة المفسّرة للآية أيضاً يجب أن تكون مقبولة عند الطرفين المتنازعين المتخاصمين في مثل هذه المسألة المهمّة.

المراد من أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير

فلابد من بيان المراد من أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية المباركة، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

محلّ الاستدلال في هذه الآية المباركة نقطتان:

النقطة الأولى: المراد من أهل البيت.

والنقطة الثانية: المراد من إذهاب الرجس.

فإذا تمّ المدّعى على ضوء القواعد المقررة في مثل هذه الآية في تلك النقطتين، ثمّ الاستدلال بالآية المباركة على إمامة علي أمير المؤمنين، وإلّا فلا يتم الاستدلال.

النقطة الأولى

المراد من أهل البيت في هذه الآية المباركة مَن؟

لابد هنا من الرجوع أيضاً إلى كتب الحديث والتفسير، وإلى

كلمات العلماء من محدّثين ومفسرين ومؤرخين، لنعرف المراد من قوله تعالى في هذه الآية، أي: المخاطب بأهل البيت من هم؟

فإذا رجعنا إلى المسانيد والسنن والتفاسير المعتبرة عن أهل السنة، وإذا ما رجعنا إلى صحيح مسلم، وإلى صحيح الترمذي، وإلى صحيح النسائي، وإلى مسند أحمد بن حنبل، وإلى مسند البزّار، وإلى مسند عبد بن حميد، وإلى مستدرك الحاكم، وإلى تلخيص المستدرك للذهبي، وإلى تفسير الطبري، وإلى تفسير ابن كثير، وهكذا إلى الدر المنثور، وغير هذه الكتب من تفاسير ومن كتب الحديث:

نجد أنهم يروون عن ابن عباس، وعن أبي سعيد، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعن سعد بن أبي وقاص، وعن زيد بن أرقم، وعن أم سلمة، وعن عائشة، وعن بعض الصحابة الآخرين:

أنّه لما نزلت هذه الآية المباركة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جمع أهله – أي جمع عليّاً وفاطمة والحسن والحسين – وألقى عليهم كساءً وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي».

وفي بعض الروايات: ألقى الكساء على هؤلاء، فنزلت الآية المباركة.

والروايات بعضها تفيد أنّ الآية نزلت ففعل رسول الله هكذا.

وبعضها تفيد أنّه فعل رسول الله هكذا، أي جمعهم تحت كساء فنزلت الآية المباركة.

قد تكون القضيّة وقعت مرّتين أو تكرّرت أكثر من مرّتين أيضاً، والآية تكرّر نزولها، ولو راجعتهم على كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي لرأيتم فصلاً فيه قسمٌ من الآية النازلة أكثر من مرّة، فيمكن أن تكون الآية نازلة أكثر من مرّة والقضيّة متكرّرة.

وقد ثبت عندنا أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، أكثر من مرّة، وإنْ اشتهرت قضيّة غدير خم.

وحديث المنزلة «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مصادر أهل السنّة في أكثر من خمسة عشر موطناً.

فلا نستبعد أن تكون آية التطهير نزلت مرّتين أو أكثر، لأنّا نبحث على ضوء الأحاديث الواردة، فكما ذكرت لكم، بعض الأحاديث تقول إنّ النبي جمعهم تحت الكساء ثمّ نزلت الآية، وبعض الأحاديث تقول إنّ الآية نزلت فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة والحسنين وألقى عليهم الكساء وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي».

فقد ورد الحديث في صحيح مسلم، وفي مسند أحمد في أكثر من موضع، ومستدرك الحاكم مع إقرار الذهبي وتأييده لتصحيح الحاكم لهذا الحديث، وصحيح الترمذي مع تصريحه بصحته، وسنن النسائي الذي اشترط في سننه شرطاً هو أشدّ من شرط الشيخين في صحيحيهما، كما ذكره الذهبي بترجمة النسائي في كتاب تذكرة الحفاظ.

ولا يخفى على القارئ والمتتبع أنّ كتاب الخصائص الموجود بين أيدينا الذي هو من تأليف النسائي، هذا جزء من صحيحه، إلاّ أنّه نشر أو انتشر بهذه الصورة بالاستقلال، وإلاّ فهو جزء من صحيحه الذي اشترط فيه، وكان شرطه في هذا الكتاب أشدّ من شرط الشيخين في صحيحيهما.

وقد ورد في تفسير الطبري، حيث روى هذا الحديث من أربعة عشر طريقاً، وورد في كتاب الدر المنثور للسيوطي، يرويه عن كثير من كبار الأئمّة الحفّاظ من أهل السنة.

وقد اشتمل لفظ الحديث في أكثر طرقه على أنّ أم سلمة أرادت الدخول معهم تحت الكساء، فمنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأذن لها بالدخول، وقال لها: «وإنّك على خير» أو «إلى خير». (مسند أحمد:٦/٢٩٢)

وحديث أيضاً وارد عن عائشة كذلك. (صحيح مسلم:٧/١٣٠)

واشتمل بعض ألفاظ الحديث على جملة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إلى فاطمة، وأمرها بأن تدعو عليّاً والحسنين، وتأتي بهم إلى النبي، فلمّا اجتمعوا ألقى عليهم الكساء وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي»، ممّا يدل على أنّ النبي كانت له عناية خاصة بهذه القضيّة، ولمّا أمر رسول الله فاطمة بأن تأتي هي وزوجها وولداها، لم يأمرها بأن تدعو أحداً غير هؤلاء، وكان له أقرباء كثيرون، وأزواجه في البيت عنده، وحتّى أنّه لم يأذن لأمّ سلمة أن تدخل معهم تحت الكساء.

إذن هذه القضيّة تدلّ على أمر وشأن ومقام لا يعمّ مثل أمّ سلمة، تلك المرأة المحترمة المعظّمة المكرّمة عند جميع المسلمين.

وهذا الاستدلال فيه جهة إثبات وجهة نفي، أما جهة الإثبات فإنّ الذين كانوا تحت الكساء ونزلت الآية في حقّهم هم: علي وفاطمة والحسن والحسين فقط؛ وأمّا جهة النفي، فإنّه لم يأذن النبي لأن يكون مع هؤلاء أحد.

في جهة الإثبات وفي جهة النفي أيضاً، تكفينا نصوص الأحاديث الواردة في الصحاح والمسانيد وغيرها من الأحاديث التي نصّوا على صحّتها سنداً، فكانت تلك الأحاديث صحيحةً، وكانت مورد قبول عند الطرفين.

بقلم: السيد علي الميلاني



الـوطـن والمـواطـنـة

مما يتعلق بحب الوطن ويتفرع على عنوان المواطنة الصالحة هو إقامة الدولة التي تدير هذا الوطن، وبيان نوعها وما يوجب زوالها أو بقاءها، وهذا ما سنتعرض له على النحو التالي:

إنّ للدولة عمراً ومدة وأجلاً كما لغيرها، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لكل دولة برهة».(عيون الحكم والمواعظ:٤٠١)

وفي قوله هذا دلالة على أن الدولة هي الحكومة التي تدير البلد، فهي من نوع المتغيرات التي لا دوام لها فلذا ورد عنه عليه السلام: «الدولة تقبل وتدبر».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٥،ح٦٣٣٩)

وقد بيّن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن الحكومات والدول تتصف تارة بكونها دولة أو حكومة حسنة وعادلة وتارة أخرى قبيحة وجائرة، وهذا مما ينعكس على الحاكم والمواطن معاً فلذا نجده يقول: «دولة الأكابر من أفضل المغانم، دولة اللئام مذلّة الكرام».(عيون الحكم والمواعظ:٢٤٩)

ويقول عليه السلام: «دولة الكريم تظهر مناقبه، دولة اللئيم تكشف مساويه ومعايبه».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٥،ح٦٣٤٢)

ففي القول الأول تكون الدولة والحكومة القبيحة مذلة للكرام، وفي القول الثاني يظهر أن نوع الدولة والحكومة لها الأثر الكبير على ذات الحاكم قبل المحكوم، ولذا يجب أن يتحلى الحاكم بصفات المواطن الصالح لكي لا يوصف باللئم والفجور.

فحذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قيام دولة الأشرار والفجار والأوغاد لما في ذلك من آثار سلبية في قيامها وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة الآتية:

من الآثار السلبية لدولة الأشرار وقوع الأشراف والأخيار في حيرة وآلام وهذا ما صرح به الإمام عليه السلام بقوله: «دول الأشرار محن الأخيار».(تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم:٣٤٨)

ومنها ما يصيب الأبرار المؤمنين من مذلة ظاهرية وانتهاك للحرمات كما في قوله عليه السلام: «دول الفجّار مذلّة الأبرار».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٥،ح٦٣٤٧)

فقيام الدول القبيحة ووقوع الآلام والمصائب على المواطنين الصالحين يرجع على فقدان المواطنة الصالحة وعدم حب الوطن والمواطنين.

وينصح أمير المؤمنين عليه السلام الأمة بعدم السماح للأوغاد أن يصلوا إلى سدة الحكم أو يؤسسوا الدولة لما



في ذلك من فساد وجور، وهذا ما يشير إليه عليه السلام بقوله: «دولة الأوغاد مبنية على الجور والفساد».(غرر الحكم ودرر الكلم:٣٦٧)

ففي تسلط هؤلاء الأوغاد يقع الفساد بكل أنواعه كالفساد الأخلاقي والفساد المالي والفساد الاقتصادي والفساد السياسي، لأن الأوغاد مواطنون غير صالحين، وغير محبين لوطنهم، بل حبهم لمصالحهم وشهواتهم فوق حبهم لوطنهم ومواطنيهم بل فوق دينهم إذا كان لهم دين.

وقد نصح الإمام عليه السلام الحكام التي تحرص على دوام حكوماتها ودولها أن تلتزم بمجموعة نصائح وإلاّ تزول هذا الدول وتندحر الحكومات، ولكي نقف على هذه النصائح نورد لكم هذه الأحاديث الشريفة:

مما يوجب زوال الدولة هو تقديم الأرازل وتأخير الأفاضل، وترك الأصول والاهتمام بالفروع وهذا هو نص قوله عليه السلام: «يستدل على إدبار الدول بأربع: تضييع الأصول، والتمسك بالفروع، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفضال».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٦،ح٦٣٥٠)

وجود غوغاء القوم وسقاطهم، ومن هو خسيس في كيان الدولة أو تأتي به إلى الحكم فهذا مما يوجب زوالها وسرعة سقوطها وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام: «زوال الدول باصطناع السفل».(عيون الحكم والمواعظ:٢٧٥)

ومما يوجب بقاء الدولة ونجاحها أداء الحقوق بين الراعي والرعية، وبين الحاكم الحق والمحكوم، وشياع العدل والحفاظ على الدين وشكر النعم، وهذا ما أشارت إليه الأحاديث التالية:

- ما يشير إلى أداء الحقوق قوله عليه السلام: «وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي... فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقّه وأدّى الوالي إليها حقها عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٦،ح٦٣٥٣)

- ما يشير إلى أن العدل يديم بقاء الدولة قوله عليه السلام: «ثبات الدول بإقامة سنن العدل».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٦،ح٦٣٥٥)

- ما يشير إلى أن الحفاظ على الدين يساعد على استمرار الدولة وأنّ الشكر يوجب البقاء أيضاً قوله عليه السلام: «صيّر الدين حصن دولتك، والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل نعمة يحرزها الشكر لا تسلب.(غرر الحكم ودرر الكلم:٤١٩)

وأشار الإمام عليه السلام إلى أمر مهم جداً يحافظ على استمرار الدولة الصالحة وبقائها مدة أطول من الدولة الطالحة ألا وهو النباهة والفطنة لحراسة الدولة بقوله عليه السلام: «من أمارات الدولة اليقظة لحراسة الأمور».(ميزان الحكمة:٣/٣٠٦،ح٦٣٦٠)

فكل ما تقدم يعود في أصله إلى حب الوطن والتحلي بصفات المواطن الصالح.

بقلم: الشيخ علي الفتلاوي

الإسلام والحضارة

الإسلام حضارة كونية، ورسالة حياة سماوية متكاملة، تهدف إلى انتشال بني البشر من مآسيهم وحل جميع مشاكلهم العالقة والمستعصية، وحلحلة جميع الأزمات الإنسانية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها.

فالإسلام دين وتمدن.. فكر ونظريات.. عمل وتطبيقات.. يسير بالإنسان خطوة بخطوة، ومع الإنسانية نقلة بنقلة، ليسير بهما إلى عالم كل ما فيه نور وسرور.

هذا هو الإسلام بكلمات بسيطة إلا أنه حضارة عالمية عاشها الإنسان عندنا في هذا الشرق السعير، وكل من قرأ تاريخ الحضارة الإنسانية لابدّ له من الوقوف طويلاً أمام تاريخ الحضارة الإسلامية، وكثير من العلماء انبهروا بهذه الحضارة العملاقة، والمنصفون منهم اعترفوا بعلوّ كعبها وكبير فضلها على مسيرة الحضارة العالمية.

إلاّ أنّنا نحن وأبناء جيلنا حالياً لم نشهد من تلك الحضارة إلاّ الاسم، وعلينا تذكر الرسم والمعالم من خلال الكتب التاريخية، أو الدراسات الحضارية، والوقوف على تلك الأطلال ونبكي كبكاء شعرائنا الجاهليين: كعنترة وامرئ القيس (الملك الضليل) وغيرهما، وكما قال هذا الأخير في مطلع معلقته اللامية الشهيرة (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...).

حيث بكى واستبكى، ووقف واستوقف بشطر بيت من الشعر فقط.. ونحن ألا يحق لنا أن نقول: قفوا نبك من ذكرى حضارتنا الإسلامية التليدة..؟

بقايا حضارة الإسلام

بقايا حضارة الإسلام كما شاهدتها قبل حوالي نصف قرن في العراق، كانت تحكي صورة ما عن الإسلام العظيم الذي نقرأه في التاريخ الإسلامي وفي الفقه وفي غيرهما من الكتب المعنية بشؤون الإسلام، فإنّ الحضارة شيء والتكنولوجيا الحاضرة شيء آخر، كما أن التمدّن شيء ثالث.

فإن التمدن أن يعيش الإنسان في المدينة في قبال أن يعيش في القرية، لأنّ لكل من المدينة والقرية مزايا وخصوصيات.

ومن الواضح أنّ الذين يعيشون في المدينة يتنعّمون بمزايا المدينة، بينما الذين يعيشون في القرية لا يتنعمون بمثل تلك المزايا، وإن كانت في المدينة أضرار لا توجد في القرية إلاّ أن مزايا المدينة أكثر من أضرارها، كما أنّ أضرار القرية أكثر من مزايا، وقد ألمعنا إلى جانب من ذلك تبعاً لعلماء الاجتماع في كتاب (الفقه الاجتماعي).. فسهولة الوصول إلى العلم والطب والمستوى الأرفع في المعيشة وغيرها وإمكانية الاشتراك في الأمور الاجتماعية وإمكان الوصول إلى القضاء والشرطة ونحوهما في المدينة أكثر من القرية، بينما في القرية الهواء الأنقى، والطبيعة الأنظف، والبساطة الأكثر، مما يسبب قلة القلق والأمراض ونحوهما.

أما التكنولوجيا فهي تدخل في القرية وفي المدينة كالماء والكهرباء والهاتف والراديو والتلفزيون والمواصلات وسائر الآلات الحديثة.

أما النسبة بين الحضارة والتكنلوجيا فهي العموم من وجه، كما أن بين المدينة والقروية والتكنولوجيا أيضاً عموماً من وجه (على الاصطلاح المنطقي).

والإسلام له حضارة خاصة تتسم بطابع الإيمان والفضيلة والتقوى والاطمئنان والنظافة، والنظام، وقلة المرض والجهل



والفقر، وكثرة التعاطف والتعاون وما أشبه، فإذا دخلت في المدينة كانت أكثر روعة، وإن كانت الروعة موجودة في القرية أيضاً.

ولذا ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يتورع في دين الله تعالى ابتلاه الله بثلاث خصال: إما أن يميته شاباً، أو يوقعه في خدمة السلطان، أو يسكنه في الرساتيق». (مستدرك الوسائل: ١١/ ٢٧٤، ب٢١، ح١٢٩٨٤)

والتشويق إلى السكنى في المدن الكبار وذمّ السكنى في الرساتيق، كما أن التكنولوجيا إذا دخلت في الحضارة الإسلامية ظهر بريق الحضارة أكثر فأكثر، ولذا ورد في الحديث: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون». (وسائل الشيعة: ١١/ ٣٧٦، ب٩٥، ح٥)

وفي حديث آخر: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه». (وسائل الشيعة: ١٢/ ٤٩، ب٢٨، ح١)

وقبل ذلك قال القرآن الكريم: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾. (البقرة: ٢٠٠-٢٠٢)

والحضارة المادية التي تقابل الحضارة الإسلامية حيث دخلت في حياة المسلمين منذ نصف قرن تقريباً أخذت بالتصاعد، بينما أخذت الحضارة الإسلامية في الضعف وتغيرت أحوال المسلمين.

وإن الذين أدركوا الحضارتين يرون البون الشاسع بينهما، فقد أوجبت الحضارة المادية: التنازع والتخاصم والتدابر، وذهاب الرضى والقناعة والاطمئنان النفسي، مما أخذ مكانها القلق والنهم وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر وكثرة الجرائم، ومن جرّاء ذلك صارت البلاد الإسلامية بكاملها أسواقاً للغرب، ومحطاً لا للمشكلات المادية الموجودة في بلاد الغرب فحسب بل وأضيفت على ذلك مشكلات العبيد أمام السادة، فصارت تصدّر المواد الخام بأبخس الأثمان، وتستورد الآلة بأعلى الأثمان، وتقطعت البلاد وقامت الثورات والحروب المتتالية.

وإني أذكر قبل زهاء نصف قرن كيف كان المسلمون في الرفاه ولم يكن وارد العراق أكثر من مليون ونصف مليون من الدنانير، وقد قال ذات مرة المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لفيصل الأول: (إن أزقة النجف تحتاج إلى التبليط، فأجابه فيصل: إن وارد العراق اليوم مليون ونصف مليون وإذا وصل وارد العراق حسب تخطيطنا إلى ثلاثة ملايين فنبلط كل شوارع النجف وأزقتها.

وفي الواقع: أنه أي وقت يأخذ الإسلام بالزمام يقلب المجتمع إلى مجتمع الرضى والفضيلة والتقوى والإيمان والسكينة والاطمئنان والتعاون والمشاركة الوجدانية والقناعة والبساطة والرفاه والأمن والحلم والمروءة والحرية والحكومة الاستشارية، وغير ذلك من أسباب الرفاه والسعادة والتقدم.

وإنّي أذكر قبل زهاء خمسين سنة حيث اشتغل الشرق والغرب بمقدمات الحرب ثم بالحرب العالمية الثانية، وحيث لم تتغلغل الحياة المادية في البلاد الإسلامية، كيف كنا؟ وكيف تحولنا إلى حالة سيئة بعد تغلغل الشرق والغرب والحياة المادية في البلاد الإسلامية ابتداءً من انتهاء الحرب وتصاعداً في المشاكل والمآسي إلى يومنا هذا.

بقلم: محمد مهدي الحسيني



لماذا لم ينص الله على أصل الإمامة؟

يعلم الجميع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث في زمن كان الناس يرون فيه أن تعظيم الرب والفخر به هو بجعل بيت نارهم أكبر من بيوت النار الأخرى أو بيت أصنامهم أكثر فخامة وأصنامهم أكبر، أو بصنعهم الأصنام من المعادن الأثمن.

وهكذا فمن كان ربّه من ذهب فمكانته أكبر وأهميته أكثر من غيره، حتى أنّ الناس كانوا يحملون أربابهم في العربات إلى الحروب، كما فعل أهل مكة عندما أتوا بهُبَلْ في حربهم مع المسلمين.

في مثل تلك الأيام أرسل الله نبي الإسلام، وكانت دعوته الأولى للبشر أن يحطموا هذه الآلهة التي صنعوها وأن يبلغوا الفلاح بتوحيد الله (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، ثم أتى بالقوانين السماوية التي ترتكز جميعها على أساس العقل وبلّغها إلى البشر بالتدريج ورمى الأفكار الجاهلية وما ابتدعه الناس من أنفسهم وشكّل حكومة عادلة ترتكز على شريعة السماء.

وبعد عشرين ونيفاً من السنين التي حفلت بسلسلة جهود وتبليغات منطقية إلهية، وسيرة عادلة، وأخلاق عظيمة جالبة للقلوب، واستخدام قوى معنوية ومادية فريدة من نوعها وبذل الكثير من تضحيات المضحين في سبيل الدين الإلهي المقدس، وفّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإقامة تشكيلات تقوم على العدالة والتوحيد.

ولم يتوقف رسول الإسلام حتى آخر عمره عن بذل الجهد، كما هو معلوم للجميع ومنصوص في التواريخ، واستمر في تثبيت توحيد الله وتوحيد الكلمة والعقيدة حتى يقيم الدين والمذهب.

فلو سألنا عقلاء العالم والذين يمسكون بزمام الأمور في الدنيا، هل لإبقاء هذا الأساس المحكم والدين السماوي العظيم أهمية في محافل العقلاء؟ هل يرون أن تثبيت الله لهذا الأساس بواسطة رسول الإسلام أمر لازم أم أن بقاءه وعدمه سواء، لا فرق بين أن يرجع الناس عن الدين أو أن يبقوا متدينين؟ وإذا كان الأمر سياناً فبمقدور العقلاء حينئذ أن يعترضوا على الله قائلين إن كان وجود الحكومة والدين وعدمه سواء فلماذا أرسلت رسولاً وأنزلت كتاباً؟!

ولما كان الله منزّهاً عن عدم الاعتناء بالتوحيد والعدل فاللازم أن يعطي أوامره لتركيز هذا الأساس بعد النبي حتى لا يبقى الناس من دون تكليف بعده ولا تتحكم الأهواء وحب الرئاسة بالدين والبلاد.

إنّ نبياً لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلاّ وبيّن حكمها، حتى أحكام التخلّي والرضاعة والخلوة مع المرأة، فهو إن لم يذكر حكم هذا الأمر المهم الذي يرتكز عليه بقاء الدعوة والنبوة، وتتوقف عليه أسس التوحيد والعدالة، وإن لم يشر طوال عمره بأية كلمة إلى هذا الأمر تاركاً الدين الإلهي عرضة لأغراض حفنة من الغزاة يقومون بعد موته بكل تلك الأعمال المعروفة عند الجميع طلباً للرئاسة، والتي ذكرت في كتب التاريخ عند السنة والشيعة، فسوف يعترض عليه عقلاء العالم ويلومونه ولن يعترفوا بنبوته وعدله وإنصافه.

إنّ نبيّنا يقول «من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية»، أي مات كافراً، والله يأمره ويرسله بآيات القرآن لأجل الوصية، فأيّ اعتبار يمكن أن يعطى لنبي لم ينطق بكلمة واحدة تجاه هذا الأمر الذي هو أهم الأمور والوصية به أولى من كل شيء وأحوج، وأي اعتبار سيكون لنبي لم يعمل بقول الله؟!

نحن نعبد إلهاً نعرف أن أعماله ترتكز على أساس العقل ولا يعمل عملاً مخالفاً للعقل، لا إلهاً يبني بناء شامخاً من التأله والعدالة والتدين ثم يخرّبه بيده، ويعطي الإمارة ليزيد ومعاوية وأمثالهم من المهاجمين، ولا يحدد المطلوب من الناس بعد النبي، وإلى الأبد، فيساعدوا في تأسيس بناء الظلم والجور بدلاً من محاربته وتحطيمه.

إنّ رئيساً تحت يده خمسون موظفاً أو رب عائلة مؤلفة من عشرة أفراد إذا أراد أن يسافر لشهرين لا يبقي مؤسسته دون تحديد المطلوب ولا يدع عائلته بلا مسؤول، فكيف برسول الإسلام الذي أتى بآلاف التشريعات السماوية العظيمة والإلهية المحكمة، وأقام نظاماً شامخاً مستنداً إلى حكم العقل وحكومة إلهية عادلة، وهو يريد أن يرحل عن هذه الأمة إلى الأبد، وقد خبر خلال الثلاثين أو الأربعين سنة الخائنين والمنافقين وعرفهم، والله أيضاً مطّلع وعالم بأن حكومات جائرة ستتشكل بعد النبي وسيجعلون الدين غطاء لأغراضهم المسمومة.

فماذا يحكم العقل هنا؟ هل يجب أن يبيّن هذا الأمر العظيم والأساسي لبقاء التوحيد والعدالة أم يهمل ويترك الدين تحت يد جماعة معلومة الحال ستزلزل الأمور بعد موته وتنشر الفوضى لكي تصل إلى الرئاسة والحكومة وتشعل نار الفتنة من ذلك الحين؟!

هل يتراجع الله عن الهداية وإرشاد الأمة إلى صلاحها وهو قد عرّفهم ذلك خلال أكثر من عشرين سنة، وأنزل في كتابه ﴿...إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.(الرعد:٧)

إنّ الأمة حين تتزلزل أسس التوحيد والعدالة فيها هي أحوج ما تكون إلى التنصيص على المطلوب منها بعد النبي فهل تترك الأمة في ذاك الحين حائرة هائمة؟ ماذا يقول العقل والعقلاء؟ ماذا يحكم هذا الرسول الباطني للإنسان والذي ينير له الطريق في هذا المجال، ألا يلزم من الله والنبي، التصرف وفق حكم العقل أم أن الله يعبث ويأتي بنظام عظيم تصنعه يداه ليخرّبه فوراً؟ ألا يحكم العقل بأنّ الإمامة أصل مسلّم في الإسلام وقد حدده الله، سواء أتى على ذكره في القرآن أم فرضنا أنّه لم يأت على ذكره؟!

إنّ البحث في الإمامة بحر لا ينتهي والكتب التي كتبت في هذا الموضوع منذ وفاة الرسول حتى الآن بأقلام الشيعة والسنة هي أكثر من أن يتمكن من إحصائها أحد.

والقرآن الكريم يعد حافلاً بالآيات التي تصرح بهذا الأصل ومنها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.(النساء:٥٩)

فالله تعالى شكّل في هذه الآية حكومة الإسلام إلى يوم القيامة، ومن الواضح أنّه لم يوجب طاعة أحد إلاّ هؤلاء الثقاة، وحيث أوجب إطاعة أولي الأمر فلا محيص عن أن تكون الحكومة الإسلامية حكومة واحدة لا أكثر.

وأن لا يكون هناك أكثر من تشكيلة واحدة وإلا لزم الهرج والمرج؛ وإذا كانت إطاعة الله والنبي واضحة فالذي يجب على العقل أن يبحثه هو تحديد من هم أولو الأمر؟ وما هي مواصفاتهم؟ يقول البعض إن السلاطين والأمراء هم من أوجب الله على الناس إطاعتهم واتباعهم، وقد آمنوا أن سلاطينهم من أمثال مصطفى كمال باشا، رئيس تركيا؛ ورضا خان شاه إيران هم أولو الأمر وأن طاعتهم واجبة.

والسنّة طبقوا ذلك على الحكماء المسلمين ومن جملتهم معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وسائر الحكماء الأمويين والعباسيين.

والآن نسأل العقل الذي وهبنا الله تعالى إياه هل الله الذي أرسل رسول الإسلام بآلاف الأحكام السماوية والتشريعات الإلهي وأسس حكومته على التوحيد والعدالة، وبعد الجهود الكثيفة في تعليم القوانين الإلهية وتطبيقها والتضحية لمنع الظلم والفحشاء وأمر الناس ونهيهم، هل يمكن أن يأمر الله الناس أن يطيعوا أتاتورك الذي يقول إنّ الدين غير معترف به في الدولة، مع ما يعرفه الجميع من الظلم الذي

ألحقه هذا الطاغية بالمؤمنين وما أتى به من منافيات العفة ومخالفات الأحكام الإلهية؟!

إنّ هذا الإله الذي أقام أساس العدل والدين ثم يخرب الأمر بيده لا يعترف به ذوو الألباب ولا يقرّون له بالألوهية والعدل والإنصاف، فإنّ مقام الألوهية منزّه عن هذا العمل الباطل.

أفهل يقال إنّ الله لم يكن يعلم بأنّ الظالمين سيتسلطون على الحكم وكان يظن أنّهم موافقون له؟!

إنّ هذا خلاف حكم العقل لأنّ من لا يعلم بعباده ليس إلهاً؛ أم يقال إن الله تراجع عن إقامة العدل والتوحيد ودعا الناس إلى الشرك والظلم والفحشاء؟! إنّ هذا أيضاً خلاف حكم العقل ومن كان كذلك ليس إلهاً.

لابد إذاً من القول بأن أولي الأمر ليسوا هم السلاطين والأمراء، ومع ذلك يقول البعض إنّ الله قد أمر بإطاعة معاوية ويزيد لعنهما الله، اللذين يعرفهما الجميع ويعرفون أفعالهما، مما يعني أن جرائم معاوية وقتل يزيد للحسين بن علي والقتل العام الذي أقدم عليه في المدينة، كل هذا هو حكم الله؛ ومن لم يحضر قتل الحسين بن علي كان مخالفاً لله!

ماذا يقول لنا العقل، هذا الرسول الباطني، هنا؟ هل هؤلاء هم أولو الأمر؟ هل يرشد الله الناس إلى هؤلاء الظلمة العابثين أم أنه يقول بأن الإمامة أصل مسلّم وقد ذكر في القرآن، وأمثال هؤلاء الأشخاص من الظالمين لا يليقون بالإمامة أصلاً وليسوا بأولي الأمر؟

وعلى سبيل المثال فقد حرّم الله في القرآن، والنبي في الأحاديث، سفور المرأة والتصرف في الأوقاف فإذا أمر السلطان أو الخليفة بذلك فما هو تكليف الناس حينئذ؟ إن الناس من جهة مأمورون بإطاعة الله والنبي فلا يجوز لهم السفور والتصرف في الأوقاف إذاً، ومن جهة أخرى هم مأمورون أيضاً بإطاعة أمر السلطان، فعليهم السفور والتصرف في الأوقاف! أفّ لهذا الجور إذ تُنسب إلى الله هذه التفاهات!

أفلا يقول العقل إنّ أولي الأمر يجب أن يكونوا في جميع الأحكام من أول إمارتهم حتى آخر أعمالهم غير مخالفين، قولاً وعملاً لشرع الله والنبي؟ وأن تكون حكومتهم حكومة إلهية موافقة لحكومة النبي كما يتضح ذلك من جعل إطاعة الثلاثة (في الآية المباركة) مقرونة مع بعضها، الأمر الذي يدل على أن الجميع من نبع واحد؟

لقد اختلف الشيعة وأبناء العامة بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذين الموضوعين.

ومنذ الأيام الأولى أعلن الخلاف أعظم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين يحترمهم جميع المسلمين ولم يطعن فيهم أحد، كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وسلمان وأبي ذر وعمار رضوان الله تعالى عليهم وأمثالهم، وأرادوا تنفيذ كلام الله والنبي بشأن أولي الأمر، إلاّ أنّه كان على الدوام تظهر خلال المسيرة البشرية منذ بدء الخليقة، جماعة تشل حكم العقل ويتحكّم فيها الطمع والهوى تدوس على الحق والحقيقة في كل زمان.

وفي ذلك الزمان وجدت مثل هذه الجماعة وقامت بعملها، فكما يشهد التاريخ، بينما كان أولئك الأصحاب المعظمون منشغلين بدفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انعقدت السقيفة ووصل من وصل إلى الحكومة فبدأ الاعوجاج، وبعد انقضاء عصر الإسلام الأول عاد الحوار بين الطائفتين.

فالشيعة أتباع علي عليه السلام يقولون إنّ الإمامة يحكم العقل بوجوب نص الله عليها، والحكام والسلاطين لا يليقون بها، وأولو الأمر هم علي وأولاده المعصومون بنص من الله تعالى وحديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذين لم يخالفوا الله في قول أبداً، فضلاً عن أنّ رسول الإسلام قد نصّ على أنّ الإمام والخليفة من بعده هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

بقلم: روح الله عباس



دور الدعاء في حياة المؤمن

قد يكون الدعاء من أبرز الأعمال العبادية الظاهرة عند المؤمن، في ما يمارسه في سائر أوقات الشهر، حتى يشعر الإنسان بأنّ هناك شمولاً فيما ينبغي للمؤمن أن يدعو به، هناك دعاء للأيام، ويقابله دعاء لليالي؛ وهناك أدعية للصباح كذلك أدعية للمساء؛ ولأوقات الصلاة وبعدها، وغير ذلك.

وقد تنوّعت أساليب الدعاء ومضامينه في ما حفلت به الأحاديث المأثورة من نوعيّات الأدعية، وفي ما وضعه المؤلّفون والعلماء من ذلك كلّه.

فهناك الأدعية التي يستغرق فيها الإنسان في المشاعر الذاتية التي يواجه فيها ذنوبه بين يدي الله، ويعبّر فيها عن محبّته لله، وخوفه منه ويلتقي فيها بحساباته فيما يفعله وفيما يتركه في عمله تصفيّةً للنفس، ويثير أمام نفسه الكثير من تفاصيل العقيدة وما يعتقده من توحيد الله ورسالة رسوله والإيمان باليوم الآخر ليؤكّد معانيها التفصيلية في نفسه.

وهكذا يجد الإنسان نفسه في جولة واسعة في رحاب الله وفي آفاق النفس، وفي أوضاع الحياة المحيطة به، في أسلوب روحي لذيذ يرتفع بالنفس إلى سماوات الروح والإيمان والإبداع ليصنع الإنسان المسلم الجديد.

وهناك الأدعية الاجتماعية الإنسانية التي تثير في داخل الإنسان الشعور بمشاكل الناس من حوله، إضافة إلى مشاكله الخاصة في عملية إيحاء روحية بأن عليه أن لا يبتعد عن الحياة في نطاق مسؤوليته عندما يلتقي بالله ويجلس بين يديه، بل يحاول الاقتراب من ذلك كلّه، ليعرف أنّ الحياة كلها، في مشاكلها وحلولها، مشدودة على الله في عمليّة البقاء والامتداد، كما هي مشدودة إليه في عملية الخَلق، وتحرّك في داخلها الشعور بأن العبادة لا تعزل الإنسان عن الحياة بل تربطه بها بطريقة واسعة مثيرة.

وهناك الأدعية التي تخلق في وعيه الوعي السياسي فيما يلتقي به من المشاكل الإسلامية العامة في الحكم والحاكمين وقضايا العدل والظلم والباطل لتتحول إلى دعوات ورغبات وأمنيات يطرحها بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ليكون ذلك سبيلاً من سبل الوعي الذي يختزنه الإنسان في أجواء العبادة.

بقلم: محمد فاضل محمد

الإمام السجاد عليه السلام والدعاء

الدعاء مفتاح كل حاجة ووسلة كل رغبة، باب الله الذي خوّله سبحانه لعباده لينالوا به عظيم رحمته وخزين مغفرته.

وما قول رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام: «الدعاء سلاح المؤمن».(بحار الأنوار:٩٣/٣٠٢)

إلاّ إشارة إلى أنّ الدعاء يحي النفوس بروح الأمل الذي نستمد به العون على مواجهة الصعاب فتبعث فينا الطمأنينة مما يعكس آثاراً واضحة على النشاط الفعلي لحركة الفرد هو بذلك يوفر لنا خصائص قلَّ أن يوفرها غيره كالثقة بالنفس والاستعداد للهداية واستقبال الشدائد بمعنويات عالية.





ولعل أهم ما ننشده في حياتنا هو السعادة ذلك المفهوم الذي لا يمكن له أن يجتمع مع الخوف والقلق، والاضطراب فيأتي هنا دور الدعاء ليزيل هذه العوامل لتصفية الأجواء والتمهيد لسعادة خالصة تدوم بدوام التواصل مع هذه العبادة.

لا ينبغي لنا أن نتصور المناجاة على أنها مجرد ألفاظ يطرحها اللسان بل هي انعكاس لمبدأ داخلي لا يبتعد كثيراً عن النفس الإنسانية فهي نوع من التوعية والإيقاظ للقلب والعقل يتعلق بروح الداعي وأبعاد وجوده مولداً لإحساس عميق بالفقر والخضوع والابتعاد عن آفة الغرور والتعالي مرسخاً لشعور أنّ الله تعالى هو منبع النعم ومصدرها مما يجعل التحرك في هذا المسار انفتاحاً نحو ما جبلت عليه نفوسنا من الطلب للكمال المنشود والاستجابة للفطرة الإنسانية السليمة.

كما لا ينبغي للبعض أن يعتقد أنّ الدعاء هو ترك للأخذ بالعوامل الطبيعية وتعطيل لمسيرة الحياة، فطلب الحاجات يُعدّ حافزاً للعمل على توفير شروط القبول من خلال التوسل بتلك العوامل كالعمل بالمواثيق الإلهية والابتعاد عن كل فاسد والجد والاجتهاد في الطلب.

فكلّما باعدتنا الأهواء عن ساحة قدسه سبحانه تأكّدت الحاجة لرأب الصدع وتقليص المسافة.

وللدعاء آداب وشروط لابد من الأخذ بها وفي مقدمتها الإخلاص فهو جوهر العبادة وخلاصتها فثمرة العمل تكمن فيه.

ولعلّ خير من وصف ذلك أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام في وصية قال فيها: «اعلم أنّ الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرك أنْ تسأله فيعطيك، وتسترحمه ليرحمك،

ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإنّ العطية على قدر النية».(نهج البلاغة:٣٩٨)

ولا نغالي إذا قلنا إنّ الرائد في هذا الميدان والفارس في هذا النزال هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.(البداية والنهاية:٥/١٠٤)

والذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف بذلك بـ(زين العابدين) لفرط عبادته.(شذرات الذهب:١/١٠٤)

متمثلاً ذلك في صحيفة قلّ الزمان أن يجود بمثلها، منهاج حياة متكامل لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلاّ أتى عليها معالجاً إيّاها بأفضل صورة.



وقد كان لشخصية الإمام العظيمة أثرها الأكبر فيما تحدثه تلك الأدعية من التأثير في النفوس، والنفوذ إلى العقول، والسمو بالروح البشرية إلى العلا.

وقد اشتملت أدعيته عليه السلام على نماذج حسية لمعطيات وجدانية تراءت بصور وأشكال كلامية ظهرت بمنتهى البلاغة والإحكام وبأفضل العبارات والكلمات، وحوت مقاصد فكرية وعلمية ودينية راقية جسّدت التصور الأبهى بين العبد وربّه والالتحام الأقوى بين المخلوق وخالقه شكراً له وعرفاناً بفضله وسؤالاً له من فيضه ومنّه وتأكيداً على الآصرة القوية بين الضعيف والقوي وبين السائل والمعطي ودليلاً على حسن التعبد والتوكل وإظهاراً للوحدانية المطلقة له عليه السلام واعترافاً بنقصان العبد وحقارته أمام جبروت الخالق وعظمته.

وقد كان الدعاء وسيلة أولى في نهج الإمام السجاد عليه السلام على طول مسيرة حياته الشريفة وسلاحاً متدرعاً به في ذلك العصر الذي عاشه.

وتلك الظروف التي جعلت التقيّة أمراً محتّماً على الإمام السجاد عليه السلام، فلقد كان الظلم والاضطهاد على أوجّه؛ فمن ظلم يزيد إلى تعنت ابن زياد إلى الجور الطائش من الأمويين ولا ننسى الفتن الكثيرة التي نخرت بفقار العصر على النحو من فتنة ابن الزبير، مع انحراف أخلاقيّ واجتماعيّ، وكل هذا والإمام عليه السلام مراقب، فماذا عليه أن يفعل؟

وقد اتخذ أهل البيت عليهم السلام مناهجهم الإرشادية بما يتناسب والعصر الذي هم فيه، ومن هنا نجد تنوع مناهجهم بسبب ظروفهم، وإن كان الهدف واحداً، فنجد عصر الإمام السجاد عليه السلام عصراً مفعماً بويلات الأمويّين وتخاذل الناس، مع ابتعاد واسع عن الخط الإسلاميّ القويم، و(لقد كانت الظروف السياسية في زمن الإمام السجاد عليه السلام محكومة بالكبت والإرهاب، وكان النظام الأمويّ آنذاك متشدّداً غاية التشدّد مع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حتى أنّهم فرضوا على الإمام عليه السلام في فترة الإقامة الجبرية...، ولكنّه لم يقعد عن الجهاد...، فاتخذ من الدعاء والبكاء وسيلة لخدمة الإسلام...، وكانت أدعية الإمام السجاد عليه السلام بالإضافة إلى ما فيها من جنبة المناجاة مع الخالق التضرّع إليه مدرسة تحوي المعارف والعقائد الإسلامية وفلسفة الحياة والفضائل الأخلاقية وما إلى ذلك من المواضيع التي حاول الأمويّون بثّ ما يضادها في المجتمع

يا أبا الحسن يا علي بن الحسين يا زين العابدين يا ابن رسول الله

الإسلامي).(من حياة الأئمة الأطهار:١٢٨)

وحيث إنّ الدعاء: (هو الوسيلة بين العبد وخالقه واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت فهذا يعني أنّ التماسه يجنب الإنسان الوقوع في الزلل).(حول الدعاء:٥٤)

لأنّ من تعلق بخالقه أمِن الوقوع، ولاسيّما أنّ (الدّعوات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام مشتملة على أعظم المعارف الربوبية التي حرص الأئمة عليهم السلام على بيانها بأسهل بيان؛ لذا كانت ناجعة في هداية المجتمع وبنائه).(حول الدعاء:١٢) بل تكون (من أهم الأساليب التربويّة والوسائل التبليغيّة التي تغيّر المسلمين وتربطهم بالله تعالى وتركز الروحية في نفوسهم.

ولقد اتبع الإمام زين العابدين عليه السلام أسلوب الدعاء فألّف بذلك الصحيفة السجادية، والتي سمّيت بـ(زبور آل محمد)، وقد ضمّت بين دفتيها أدعية مختلفة الأغراض... تطرقت إلى تربية المسلمين).(الأساليب التربوية عند أهل البيت عليهم السلام:١٧٤)

مصحّحة للسلوك المتدنّي الذي كان شائعاً في عصره، فـ(استطاع أنْ ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلاميّ، يسهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات...، وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم).(مقدمة الصحيفة السجادية:١٠)

ومع أنّها كانت لعصرها إلاّ أنّ فائدتها الدينيّة والاجتماعية انبسطت لتشمل كل العصور والنص البليغ هو الذي لا تقيدّه خارطة الزمن وربّما لم يكشف الغبار عن فضل الدعاء حقيقة؛ لأنّ فضله عامّ حتى قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالدّعاء فإنّه شفاء من كل داء».(أصول الكافي:٢/٢٥٨)

وإطلاق شفائه يوحي بمكانته الفائقة في تحقيق الصّلاح على جميع المستويات بما فيها الاجتماعية والصحية والنفسية، ولكن كون الدعاء (من حيث المظهر الداخليّ يقوم على عنصر وجدانيّ يتصاعد به الدّاعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه).(البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي:١٥٠)

فهذا قد يتراءى لأول وهلة أنّه عروج نحو السماء فقط مع ترك الدنيا جملة وتفصيلاً، بداعي الزهد، وإذا كان الإنسان المسلم بهذه الحالة، فإنّه لا يستطيع مجاراة الأوروبيّ في تعمير الأرض!

فيمكن أن تؤدي نظرة إنسان العالم الإسلاميّ إلى السماء قبل الأرض إلى موقف من هذه المواقف السلبيّة إذا فصلت الأرض عن السّماء، وأمّا إذا ألبستِ الأرض إطار السّماء، وأعطي العمل مع الطبيعة صفة الواجب ومفهوم العبادة، فسوف تتحوّل تلك النظرة الغيبيّة لدى الإنسان المسلم إلى طاقة محرّكة وقوة دفع نحو المساهمة بأكبر قدر ممكن في رفع مستوى الحياة).(الإسلام يقود الحياة:١٩١)

على أنّه ليس كل دعاء يؤدي هذه الوظيفة، فما كل من صنع دعاء كان باستطاعته أن يجعله بتلك المنزلة الإرشادية، وإنما هو أمر خاص بهم عليهم السلام.

ومن هنا وجدنا التأكيد على متابعتهم في أدعيتهم، فهذا السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره يحثّ على أن يكون (الدعاء بالمأثور من المعصومين؛ لأنّه تكلّم مع الله تعالى كما أنّ القرآن تكلّم الله مع العبد، فينبغي في الدعاء أنْ يكون مأثوراً ومستنداً إلى الشرع، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.(فاطر:١٠)

وقال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.(الحج:٢٤)

بقلم: محمد جليل الحسناوي



كيف نعبد الله تعالى

جاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرّ، اعْبُد الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لا تَرَاهُ فَإِنَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) يَرَاك، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ عِبَادَته الْمَعْرِفَةُ بِه بِأَنَّهُ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْفَرْدُ فَلَا ثَانِيَ مَعَهُ، وَالْبَاقِي لا إِلَى غَايَة، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَمَا فيهمَا وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَيْء، وَهُوَ اللهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثُمَّ الْإِيمَانُ بِي وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَرْسَلَنِي إِلَى كَافَّة النَّاس بَشِيراً وَنَذِيراً، وَداعياً إِلَى الله بِإِذْنه وَسِراجاً مُنيراً، ثُمَّ حُبُّ أَهْلِ بَيْتِيَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهيراً». (أمالي الطوسي:٥٢٦)

إنّ الرؤية إمّا أن تكون بالعين الظاهرية، أو بعين العقل والإدراك العقلي.

والمراد هنا بالرؤية أن تكون بالعين الباطنية والعقل، يقول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً الله تعالى: «عميتْ عينٌ لا تراك عليها رقيباً». (بحار الأنوار:٨٥/٢٢٦)

أي لا خير في إدراك العقول لما حولها إن لم تدرك مصوّرها، فالعمى أولى لها من الإدراك والشعور.

فالمقصود بالعين في قول الإمام سلام الله عليه ليست العين المادّية المصورة في الرأس، لأنّ هذه العين عاجزة عن رؤية الربّ تعالى.

إذاً الإنسان يتمتّع بنوع رؤية باصرة ورؤية معنوية كاشفة.

ومن خصائص العين الباصرة كثرة الخطأ، علماً أنّ (الرؤية بالعقل) قد تخطئ هي الأخرى أحياناً، ولكن خطأها أقلّ بكثير من خطأ العين المادّية، وأنّ البصيرة موجودة لدى جميع الناس ولكنّها بدرجات متفاوتة.

وبهذه البصيرة بمستواها الراقي، طبعاً مع شرط التربية والمحاسبة الدقيقة والمتواصلة يمكن إدراك الله عزّ اسمه، وبهذا الإدراك تتم عبادة الله أيضاً.

وَرَوَى أَهْلُ السِّيرَة وَعُلَمَاءُ النَّقَلَة أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى أَمِير الْمُؤْمنينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ خَبِّرْني عَن الله تَعَالَى أَرَأَيْتَهُ حينَ عَبَدْتَهُ! فَقَالَ لَهُ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام: «لَمْ أَكُ بِالَّذي أَعْبُدُ مَنْ لَمْ أَرَه». (الإرشاد:١/٢٢٥)

العبادة والمعرفة

في بعض كتب التفسير في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. (الذاريات:٥٦) عبارة: (أي ليعرفون) مسبوقة بكلمة (رويَ). وقد تكرّرت هذه العبارة إلى حدٍّ أصبحت فيه من المرتكزات الذهنية.

وفي معرض الفحص والتحقيق لتبيان حقيقة الأمر، وفي ورود رواية كهذه من عدمه، لم يتمّ العثور عليها في كتب الروايات والأحاديث، إلاّ في كتاب منسوب إلى أحد صوفيّة السنة.

وعلى ذلك فإنّ العبارة لا قيمة لها من حيث السند، علماً أنّ مضمونها ومفهومها يتضمّن المغالطة التي تنتهي إلى إشاعة التساهل غير المقبول في الدين.

فهذه العبارة تساوي بين مفهومي العبادة والمعرفة، مع أنّ بين مفهومي هذين المصطلحين تبايناً ماهوياً، أي إنهما يختلفان في ماهيّتهما.

وقد ورد في رواية عن مولانا الإمام الحسين سلام الله عليه: «إنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إلاّ لِيَعْرِفُوهُ فَإذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ فَإذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِه عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاه»، فقال رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله؟ قال عليه السلام: «مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُه». (علل الشرائع:١/٩)

إنّ من الممكن تصوّر كون اجترار عبارة (ليعبدون)، أي (ليعرفون)، من مفهوم الرواية أعلاه، ولكن لابد من الالتفات إلى وجود الكثير من الاصطلاحات والمفاهيم، وإلى أنّها مرتبطة فيما بينها، وأنّ هذا الترابط لا يعني بالضرورة التجانس والعينية.



فحينما يقال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» (علل الشرائع:٨٧،ب٢)، فإنّه يختلف عن القول: إنّ الإيمان هو عين الصبر، أو القول: إنّ جسم الإنسان هو عين رأسه.

وكذلك حينما يقال: إنّ أصول الدين هي كلّ الدين، فلا يمكن تصوّر أنّ الدين هو عين الأصول؛ ذلك لأنّ الدين يتألّف من أصول وفروع.

إذاً فالعبادة غير ذات فائدة دون المعرفة، كما أنّ المعرفة التي لا تستتبعها العبادة ناقصة، كما هي العلاقة بين الصلاة والطهارة؛ إذ لا صلاة بلا طهارة، ولا تنفع الطهارة تارك الصلاة.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الوصية لأبي ذر: «أوّل عبادة الله المعرفة به»، وقال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «أوّل الدين معرفته». (نهج البلاغة:١/١٤، الخطبة١)

من هذين الحديثين الشريفين يتبيّن الفرق بين العبادة والمعرفة؛ وهي أنّ المعرفة أوّل شرط للعبادة، وأنّ بها تبدأ العبادة.

إنّ العبادة إذا لم تقترن بالمعرفة، أصبحت عامل ضرر، وأخرجت العابد من جادّة الصواب، فيرى نفسه منحرفاً نحو الشرك والرياء.

والعابد على هذا النحو سيعتقد بالشرك توحيداً وبالذنب ثواباً، وستكون حتى عبادة الصنم حسب وجهة نظره عبادة لله، وهكذا تكون العبادة له بمثابة الطعام المسموم، فتصيب الروح بالمرض، بدلاً من أن تكون عامل إنقاذ للروح والنفس، وتغرق صاحبها في الضلال وتعب الروح ومرضها.

إنّ العبادة تعني العبودية، وهي لا تكون سوى للخالق والمولى الذي يتوقّف تمام الوجود على لطفه، فهو المولى والخالق، ونحن جميعاً عبيده.

إذاً يلزم العبد أن يعي مفهوم العبوديّة؛ لتتكامل عبوديّته، وحينما يتّضح معنى العبودية يفهم العابد بأنّ كلّ الوجود وحيثيّاته وشؤونه متعلّقة بالمعبود، حتّى هذه العبادة التي يزاولها إنّما هي عطاء من الله تعالى، فإذا أدرك العابد ربوبيّة الله، تمكّن من الاستفادة من بركات العبادة.

إنّ الفرق بين العبادة المقرونة بالمعرفة وبين العبادة المفتقرة لها، كالفرق بين الوردة الواقعية ورسمها، من حيث إنّ لهما ماهيّتين ومعنيين، فليس لرسم الوردة الشكلية أيّ حقيقة من حقائق الوردة ذاتها.

ولعلّ رسّاماً بارعاً يتمكّن من تصوير وردة هي في شكلها أجمل وأروع من الوردة الحقيقية، ولكن يستحيل أن يكون لها مميّزات الوردة الواقعية.

إنّ بعض أشكال العبادة تشبه صورة وردة مرسومة على اللوحة أو الجدار، حيث لا فائدة أو ثمرة لها.

فترى العابد يقتصر بالعبادة على مجرّد اللفظ والحركة أو السكون، دون أن تجد أو تلمس لها روحاً، أي أنّها وإن بدت كاملة من حيث الأداء الشكلي ومراعاة الأجزاء والشروط الظاهرية وإسقاطها للتكليف، ولكن هذا الإسقاط متأتّ من ناحية اللطف الإلهي، دون أن يكون لذات العبادة فائدة أو تأثير.

لقد قال الله سبحانه وتعالى بكلّ وضوح: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾. (العنكبوت:٤٥)

ومع أنّا نعلم أنّ أصدق كلام في عالم الإمكان هو كلام الله تبارك اسمه، ولكنّا نشاهد كثيراً من الصلوات لا تحول دون الفحشاء والمنكر، بل إنّ منها ما يقترن بالمنكر أصلاً.

والسبب: أنّ ذلك كلّه إنّما يعود إلى خروج الصلاة عموماً عن ماهيّتها الواقعيّة وحقيقتها، فصارت عديمة الشبه بالصلاة الأصليّة، اللهمّ إلا في الشكل ورفع التكليف، وإنقاذ صاحبها من العقاب الأخروي.

إذاً فهي غير تلك الصلاة التي أشير إليها في القرآن الكريم على أنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

قد تكون جميع آداب الصلاة بما فيها المستحبّات والمكروهات ذات أهميّة خاصّة، ولكن الأمر الأهمّ من ذلك كلّه التوجّه إلى الله عزّ وجل، والذي عُبّر عنه بـ(الإقبال) في الروايات الشريفة، أي: إنّ الإنسان حينما يشرع بصلاته قائلاً: (الله أكبر) عليه أن يعي ما يقول، وإذا قال: (بسم الله) عليه أن يتعمّق في هذه العبارة المقدّسة.



ينبغي إيلاء الاهتمام بقضايا الوعي والدقّة أكثر من الاهتمام بالقيام بالمستحبّات، بمعنى أنّ الفرد إذا كان مخيّراً بين الدقّة واستيعاب العبادة وبين إنجاز بعض المستحبّات، فإنّ من المفترض أن يفضّل الخيار الأوّل.

قد يقف المصلّي بين يدي الله عزّ وجلّ، ولكنّه قد لا يتعمّق أو يهتمّ بموقفه، بل لعلّه لا يهتمّ والعياذ بالله بحديثه مع ربّه بمستوى اهتمامه بالحديث مع طفل ذي أربع سنوات، فترى جلّ همّه إتقان الألفاظ ومخارج الحروف، بينما هو غافل عمّا يقول، وهذا الأمر معلول الجهل بالمعبود.

إنّ الله تبارك وتعالى يحبّ للإنسان أن يصلّي بوعي وحضور قلب، وأن يصلّي في أوّل الوقت، وإن كانت مقتصرة على الواجبات، إذ إنّ أداء الصلاة في أوّل وقتها مع الوعي والتركيز، خير من اقترانها بكثير من المستحبات ولكنّها مجرّدة عن الإخلاص والتركيز، وليس خافياً أنّ الإنسان إذا ما كانت له علاقة وطيدة مع أحد الناس، فإنّه يسعى إلى الإقبال التامّ عليه في حال التحدّث إليه، لتكريس مزيد من العلاقة والحبّ تجاهه؛ ومَن أولى من الله الخالق الودود بالحبّ والارتباط؟!

يقول الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فيما يخصّ العبادة ومستوى قرب واقتراب العابد من المعبود: «اللهم أذنت لي في دعائك ومسألتك». (تهذيب الأحكام:٣/١٠٨)

فالله تبارك اسمه قد أكرم عبده كرامة لا تقاس بغيرها، وهي إذنه له بدعائه وعبادته والتحدّث إليه بصورة مباشرة، كما وعده الاستماع إليه وقبول عبادته.

ثم يضيف صلوات الله وسلامه عليه قائلاً: «فاسمعْ يا سميع مدحتي، وأجب يا رحيم دعوتي». (التهذيب:٣/١٠٩)

ولا شكّ أنّ عمق هذه العبارة وامتداد أفقها يتجاوزان عمق ومساحة السماوات والأرضين.

إنّ للمعرفة درجات ومراتب، وإنّ المعصومين يتمتّعون بأعلى الدرجات وأسمى المراتب الخاصّة بمعرفة الله المتعال. وإنّ علو الدرجة وسموّ المرتبة المعرفية والاقتراب من حقيقة الربّ المتعال هي التي توجب أو تعكس التفوّه بالعبارة المقدّسة، التي جاء فيها: «اللهم! أذنت لي في دعائك ومسألتك».

وما تحويه من المعاني الملكوتيّة.

إنّ الإنسان العارف حقّاً لا يرتكب الخطيئة، لأنّه يدرك حقيقة الله وشأنه، ويلفّه الحياء والخجل من أن يرتكب ذنباً في محضر ربّه، لاسيّما وأنّ جميع الطرق التي تؤدّي إلى ارتكاب المآثم والانحراف البشري تنغلق وتنقطع عند المعرفة، فيُمنح صاحبها حياة شبيهة بحياة المعصومين، تماماً كما أنّ التعرف إلى الحالة البيئيّة أو الطبيعيّة لبدن الإنسان تدفعه في معظم الأحيان إلى انتهاج سبيل الاعتدال والوقاية الصحيّة فيما يخصّ أمور التغذية، ليكون في منأىً عن الأمراض، إضافة إلى أنّ المعرفة المعنويّة بدورها تنجي أو تقي المرء من التعرّض للأمراض والمشاكل الروحيّة كذلك.

فمتى ما حصلت المعرفة الواقعيّة، أصبحت روح الإنسان وقواه العقليّة وحتّى المادّية في مأمن من الوقوع في طرق ومهاوي الانحراف.

ومن هنا كان من المفروض على الإنسان أن يسعى دائماً لتوسيع دائرة فهمه وأفق وعيه فيما يتعلّق بالربّ الواحد الأحد، وبعبادته وبشروطها، وينبغي أن يسير ضمن عملية تطوّر متواصل.

بقلم: صادق محمد مهدي





الـــولاء والـتـعـبـيـر عنه

الشعائر والشعارات من أصل واحد غير أنّ مفرد كلمة الشعائر (الشعيرة) ومفرد كلمة الشعارات (الشعار).

و(الشعيرة) هي ما يُشعر بالعبادة لله تعالى أو الانتماء إلى الله أو الحج، وجميعها شعائر.

يقول تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾. (الحج:٣٢)

ويقول تعالى: ﴿ لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ﴾. (المائدة:٢)

أي ما يهدى إلى بيت الله ويسمى بذلك كما يقول الراغب لأنّها تشعر أي تعلم، والشعار ما يشعر به الإنسان ويعرّف به نفسه في الحرب، وجمعه (شعارات). (مفردات الراغب:٢٦٢)

فالشعائر إذن هي مجموعة الطقوس والأعمال التي تُشعر بالانتماء والولاء والعبادة وما يشبه ذلك، والشعارات ما يُعرّف به المقاتل نفسه في ساحة الحرب من انتماء أو أصل أو قدرة قتالية أو استقامة على الحق وما يشبه ذلك فهما إذن يشتقان من أصل واحد وهو الإشعار والإعلام.

وسوف نتحدث في هذا البحث إن شاء الله عن (الشعائر الحسينية) أولاً ثم نتحدث عن (الشعارات الحسينية)، ونقصد بـ(الشعائر الحسينية) ما تعارف عليه المؤمنون من أتباع أهل البيت عليهم السلام من إحياء ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كل عام، بإقامة مجالس العزاء والنياحة على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، والتفجع بمقتله عليه السلام، وإنشاد الشعر في ذلك بالفصحى واللهجات الشعبية الدارجة عند الناس.

وخروج مسيرات العزاء على الحسين عليه السلام على هيئة مواكب إلى الشوارع، وزيارة الحسين عليه السلام من قرب وبعد، وأمثال ذلك مما يتعارف عليه المؤمنون من أتباع أهل البيت عليهم السلام ويتوارثونه جيلاً بعد جيل إلى اليوم.

وقد كان لأهل البيت عليهم السلام عناية خاصة بإقامة هذه الشعائر، لإبقاء ذكرى شهادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في وجدان المسلمين حيّة، غضّة.



ونقصد بالشعارات الحسينية ما كان يرتجزه الحسين عليه السلام وأنصاره عليهم السلام في ساحة المواجهة، في مقابلة العدو من الشعر، وأكثره من بحر (الرجز) و(فعل يرتجز اشتق منه)... .

وقد كان من عادة المقاتلين أيام القتال بالسلاح الأبيض أن يتبارز المقاتلان في الساحة فيعرّف كل منهما بنفسه، ويذكر أصله، وحسبه ونسبه، وشجاعته، ومقدرته، وصولاته القتالية.

وهذا الشعر يكشف كثيراً عن هوية المتقاتلين ونفسياتهم، والغايات التي يطلبونها في المعركة من ثأر، وسلطة، أو الدفاع عن القوم والعشيرة، أو تعصّب للأقوام والعشائر وحلفائهم، أو الدفاع عن الحق، والعدل والتوحيد.

وديوان الرجز في تاريخ الجاهلية والإسلام لو جمع لكان ديواناً حافلاً بهذه المضامين الحضارية.

ويسمى هذا الرجز في ساحة القتال بـ(الشعار) وجمعه (شعارات)، ووجه التسمية أن المقاتل يُشْعر أو (يُعرّف) بهذا الرجز نفسه، وأهدافه، وانتماءه القبلي أو القومي، أو الديني، وقدراته القتالية.

وفي معركة الطف يوم عاشوراء نجد ألواناً ونماذج مختلفة من (الشعارات) القتالية للحسين عليه السلام وأنصاره من جانب، ولجند ابن زياد من جانب آخر.

ودراسة هذه الشعارات تنفع الجمهور، لأنها تكشف عن نموذجين من الناس، تقاتلا في كربلاء، يمثل أحدهما قمة من قمم التاريخ في الوعي والإخلاص وابتغاء وجه الله والإيثار والتضحية والعطاء والإيمان والصبر، والمقاومة والشجاعة والاستماتة في سبيل الله؛ ويمثل الآخر حضيض الدناءة، والفسوق والظلم والقسوة والتكالب على حطام الدنيا وابتغاء الذهب والفضة وابتغاء وجوه الطغاة والجبابرة.

كما قال اللعين حينما أتى برأس سيد الشهداء عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد عليه اللعنة:

املأ ركابي فضة أو ذهباً
إني قتل السيد المهذبا
قتلت خير الناس أماً وأباً

وهذا مع اعترافه بأن سيد الشهداء عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو خير الناس على وجه الأرض من كل النواحي، وهو أشهر من العلم.

والشعر الذي يرتجز به هؤلاء وأولئك يكشف عن هذه الخصال وتلك، ويكشف عن عروج الإنسان إلى الله، وسقوطه في أوحال الفساد.

والتعريف بهذا العروج وذلك السقوط ينفع الناس في نهج حياتهم.

بقلم: محمد مهدي الآصفي



العيد السعيد

إنّ كل يوم لا يعصى فيه الله فهو عيد بالنسبة للإنسان المسلم المؤمن، لكن الأعياد المحددة هي مناسبات لها شأنها ولها معانيها ولها دلالاتها.

فعيد الفطر السعيد في الأول من شهر شوال، فرحة الصائم بعد صيامه وقيامه شهر رمضان المبارك.

وعيد الأضحى المبارك في العاشر من شهر ذي الحجة، فرحة الحاج في أدائه مناسك الحج والتضحية والتحلل من الإحرام.

وعيد الغدير في الثامن عشر من شهر ذي الحجة أيضاً، فرحة المؤمنين بتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم ولياً على المسلمين والمؤمنين، وغيرها من الأعياد المباركة.

وفي الإسلام الأعياد الإسلامية لها أعمالها ومستحباتها ومكروهاتها.

فإنّ الأعياد إسلامية كانت أو غير إسلامية لها دور كبير في تقوية النفوس البشرية وتغذية القلوب بالأفراح والمباهج، ولها جانب إنساني عام، وجانب إيماني خاص.

فكل إنسان يفرح في يوم أو وقت يعتقد بكونه عيداً، ويكون فرح المؤمن أكثر إذا كان فيه جانب عبادي ومطلوب عند ربه الكريم.

فالأعياد الإسلامية بما هي توجب البهجة وتولّد السرور في قلوب المؤمنين بالله وبرسوله وبولاة أمره المعصومين عليهم السلام.

وبالإضافة إلى الجانب النفسي والروحي فإنّ للأعياد الدينية جانباً عبادياً يُقرّب إلى الله عزّ وجل.

فالعبد المؤمن يتخذ يوماً أو ليلة أو حيناً من الأحيان أو وقتاً من الأوقات عيداً، يختلي مع نفسه لذكر ربه ويشتغل بطاعته ويقصد بذلك رضا الله تعالى والتقرّب إليه.

فالعيد الحقيقي لمن آمن بالله وصدّق برسله في أقواله وأفعاله ويتحقق ذلك فيما إذا أدّى عليه ما كان واجباً أداؤه، واجتنب عما كان محرّماً عليه، وأمّا الأعياد التي اعتبرها الشارع الحكيم فهي وإن كانت كثيرة لانتسابها بواقعة معيّنة ولكن منها ما تختص بأعمال مخصوصة فقط، ومنها ما تكون مناسبتها مهمة كعيد الفطر وعيد الأضحى ويوم الجمعة ويوم الغدير أو يوم ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويوم مبعثه ومعراجه الشريف، ومنها ما تحمل في طياتها ذكريات عظيمة كيوم المباهلة أو غيرها من الأيام.

العيد لغة واصطلاحاً

إنّ العيد في اللغة يعني العودة، فبما أنّ الذكرى تعود

كل سنة مرة ويحول عليها الحَول فإنّها سمّيت بالعيد، ولكل قوم في العالم ذكريات جميلة يحيونها كلّ حسب معتقداتهم وعاداتهم، والإسلام لم يكن شاذاً عن بقية الأمم والحضارات والأديان والمذاهب.

وقد اصطلح استخدام مفردة العيد في المناسبات السعيدة ولم تستخدم في المناسبات الحزينة، ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم استخدمها في المناسبة السعيدة التي كانت آية من آياته التي أنزلها على نبيّه عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليهما السلام ألا وهو إنزال المائدة من السماء دعماً لنبوة نبيه عيسى إذ قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (المائدة:١١٤)

والشريعة المحمّدية السمحاء التي وصلتنا عبر أئمة أهل البيت عليهم السلام عبّرت عن أربع ذكريات من تاريخ الإسلام بالعيد وهي: العيد الأكبر عبد الأضحى المبارك، وعي الفطر المبارك، ويوم الجمعة، وعيد الغدير.

وربما نجد مثل هذه المرحلة التعبير ورد عن ذكرى المبعث النبوي الشريف وغيرها.

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الصوم يوم عرفة فقال عليه السلام: «عيد من أعياد المسلمين». (بحار الأنوار:٩٣/٢٦٧).

كما نلاحظ أنّ الشريعة السمحاء قد اتخذت من هذه الأعياد وسيلة للتقرب إلى الله وطاعته وعبادته فلذلك سنّت في كل عيد مجموعة من الصلوات والأدعية والأذكار والأعمال، وكلها تقع في التوجه الإلهي، ومن تلك ما ورد في المأثور: (ليس العيد لمن لبس الجديد بل العيد لمن أمن الوعيد).

وهذا لا يعني أنّ المسلم عليه أن لا يبتهج بهذه الأعياد والتي قد حثّ الشرع أيضاً لأن تكون يوم بهجة وفرح ويهنئ فيها بعضنا بعضاً، بل أراد عليه السلام أن يحدّ من ظاهرة باتت مألوفة في عالمنا الحديث، حيث ترتكب المنكرات وكأنهم يعتبرون أن القلم رفع فيه عن العباد، فيبيحون لأنسهم في هذا اليوم ما لا يبيحونه في غيره من الأيام.

إنّ إحياء كل المناسبات المرتبطة بالشريعة وقادتها من أعياد وذكريات، يشمله قول الإمام علي عليه السلام: «واختار لنا شيعة ينصروننا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا». (بحار الأنوار:٤٤/٢٨٧).

إلى جانب روايات أخرى وردت في الحث على إحياء أمرهم، منها قول الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله امرء أحيا أمرنا». (بحار الأنوار:١/٢٠٠)

وهو يشمل إحياء مناسباتهم أيضاً.

وما ورد في مناقب آل أبي طالب عن ابن شهر آشوب من أنّ الإمام السجاد عليه السلام قال من البحر المنسرح:

يفرح هذا الورى بعيدهم
ونحن أعيادنا مآتمنا

فإنما ذلك خاص بفترة ما بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وعظم هول مأساته التي أحياها بنو أمية بالأفراح، بل وإنّه اعتبر نفسه في حال حزن إلى أن يزول ملك بني أمية الغاصبين للحكم.

ومن هنا نجد أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال لعبد الله بن ذبيان: «يا عبد الله ما من يوم عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلاّ وهو يجدد الله لآل محمد عليهم السلام فيه حزناً»، فسأله ابن ذبيان: وَلِمَ؟ فقال عليه السلام: «إنهم يرون حقّهم في أيدي غيرهم». (وسائل الشيعة:٧/٤٧٥)

وهذا مما يدلنا على أن مسألة اغتصاب الحق وحكم الأمة بالأحكام الجائرة من قبل الظالمين كان السبب لعدم إقامة صلاة العيدين بل والجمعة على شكل فرض فقد تركت من قبلهم لأن من شروط إقامة هذه الصلوات الثلاث أن يكون الإمام المعصوم عليه السلام مبسوط اليد وبيده الحكم، ولذلك نجد أنّهم لم يقيموها بنية الوجوب بعد أن غصب معاوية الخلافة من الإمام الحسن عليه السلام، وكان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لا يقيمها فرضاً أيام كان جليس البيت، بينما كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقيمها منذ أن استتب له الأمر في المدينة المنورة، وبقي الأئمة إلى غيبة الإمام

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على هذا الحال.

وهذه الفريضة لم يُسنّ فرضها من قبل الله إلاّ بعد أن استقر نبيّه الكريم في المدينة المنورة وأعلن إنشاء دولة الإسلام وذلك في نهاية السنة الأولى من الهجرة المباركة.

وعلى أي حال فإنّ هذه المناسبات من الضرورة إقامتها لأنها من الشعائر التي عبر عنها القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. (الحج: ٣٢)

ولا شكّ بأنّها تُدخل البهجة في قلب صاحب الأمر الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف والذي سيكون يوم ظهوره أكبر الأعياد وأعظمها حيث يدحض الباطل ويحق الحق.

ومن المؤسف جداً أن تكون هناك شريحة من الناس تعتني بالذكريات الحزينة ولا تهتم بالذكريات البهيجة، وقد أشاعت الحزن بين الناس وسلبت البهجة من قلوبهم حتى آل الأمر أن شبابنا ابتعدوا عن الدين وتركوا الحضور إلى المجالس الدينية حيث وجدوها كلها مواسم حزن وبكاء، مخالفين بذلك نص الأحاديث الشريفة التي وردت في إحياء هذه الذكريات المباركة والشريفة، كما كانوا سبباً في مزيد انتقاد الأعداء والمتربصين بالإسلام، إذ اشتهر منهم بأنّ الإسلام دين الحزن والكآبة ودين لا يتماشى مع العصر، مما دفع ببعض المسلمين إلى الوقوع في التفريط بسبب إفراطهم ونسوا بأنّ ديننا الحنيف دين الوسط ودين تطوّر يناسب كل عصر وكل مكان وفيه الثابت والمتحرّك مما جعله يفوق كل الأديان ويرتقي على جميع الحضارات.

إنّ مباهج العيد لا تنحصر في لبس الجديد من الثياب ولا لبس الثياب الفاخرة ولا في اختيار الألوان البهيجة وتوزيع الحلوى والتهنئة وتبادل الزيارات، بل هناك أعمال واجبة تارة ومستحبة أخرى، مثل صلاة العيد وإطعام المحتاجين والمعوزين، وذبح الأضحية في عيد الفطر، وقراءة الأدعية الخاصة بتلك المناسبة، وإقامة بعض الصلوات المندوبة، والزيارات المخصوصة أو العامة، وإضاءة المصابيح ورفع الألوية وغيرها، فإنّها جميعها تُعد من إحياء الشعائر.

ومن ناحية أخرى فإنّ إدخال السرور إلى قلب المؤمن بحدّ ذاته أمر محبّب شرعاً وإن كل هذه الأمور التي أوردناها توجب الفرحة والسرور للمؤمنين، كما إنّ التزاور أيضاً من الأمور المستحبة في الشريعة الإسلامية وهو مما يزيد فضلاً في مثل هذه الأيام، وهكذا بالنسبة إلى إطعام الطعام والذي يدخل فيه تقديم الحلوى، بالإضافة إلى غيرها، وإلى أمور أخرى أوردناها في محلها، مما هي بحد ذاتها محبوبة شرعاً وتزداد فضلاً في أيام العيد والمناسبات.



وهناك شريحة ممن طغى عليها الجمود الفكري مع كل الأسف فأخذوا يحرّمون كل مظاهر الحزن والفرح معتمدين على أقوال شاذة تاركين وراء ظهورهم فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، متمسّكين بعمل بعض الصحابة في تعاملهم بالقسوة والجفاء ممن لم يكونوا من أهل بيت الوحي والرسالة، وعرفت عنهم الغلظة في تعاملهم مع الأمة، هاجرين بذلك سماحة الإسلام وإحاطته بكل حوائج المجتمع، وحرصه على إشباع غرائزهم التي أودعها الله فيهم وذلك على وجه الحلال، إذ الملاحظ من الشريعة السمحاء أنّها أخذت بعين الاعتبار صغائر الأمور وكبائرها من حاجة الإنسان، فسُنّت القوانين المناسبة لها، فما نجد أمراً محرماً إلا وإلى جانبه مورد محلل حيث إنّ الله سبحانه وتعالى ما نهى عن أمر إلاّ وكان فيه حكمة وضرر، سواء في أصله أو في الوسيلة، فتارة يكون في الجسم وأخرى في النفس، وبعض الأحيان للفرد وأخرى للمجتمع، أو لأمر في الدنيا أو في الآخرة، ولكنه مع هذا ما حرم عبده من الملاذ إلاّ وجعل له بديلاً طيباً ليجنّبه الخبائث، والخبائث

والطيبات لا تخص الأمور المادية بل تشمل الأمور المعنوية أيضاً، وقد يكون عضوياً وقد لا يكون كذلك.

إنّ الله سبحانه وتعالى من لطفه أراد أن يتعامل عباده بالطيبات ويتجنبوا الخبائث، فلا ينظر ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يلمس ولا يستخدم عقله ويملي فكره ويتعامل مع نفسه إلاّ بالطيبات، لأنّ الخبيث له آثار سيئة لا يعرفها الإنسان بسرعة أو بسهولة ولكن الذي خلقه وخلق الأشياء جميعها عالم بخصوصياته وخصوصياتها فلذلك أودع فيه الفطرة لطفاً به ليختار ما أمكن أن يختاره من الطيبات، وأعطاه العقل ليختار به ما لم يتمكن من اختياره بالفطرة، وأنزل عليه الكتب ليبيّن له الطيّب ويفرزه عن الخبيث، فيما لم يقم العقل بإدراكه، وأرسل الأنبياء والرسل ليشرحوا ما لم يقدر على فهمه من الكتاب، ثم أشفعهم بالأوصياء لتكون الإمامة امتداداً للرسالة في بيان ما يجب بيانه إلى غيرها من مظاهر اللطف كبعض الآيات وبعض الابتلاءات المنبهة له، والتي تصب جميعها في لطف الله بعباده.

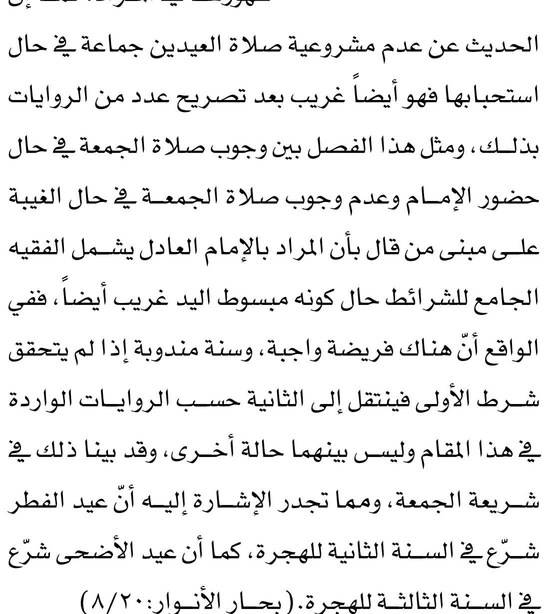


وقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أنْ يكون دينه دين يسر يرفع به العسر ولا يضيق على عباده، وإن كانوا لا يطيعونه بشكل تام إذ إنّ الملتزمين قلّة حيث إنّ غالبية الناس تصدق عليهم مقولة الإمام الحسين عليه السلام «فإن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه حيثما درّت معايشهم». (مقتل الخوارزمي: ١/ ٢٧٣)

ومن الجدير ذكره أنّ كل ما يقوم به الإنسان إن كان مباشرة لأجل إطاعة الله فهو عبادة كصلة الرحم وإطعام الغير والتزاور وما إلى ذلك، وكذلك كل ما وقع في طريق طاعة الله، كما لو نام بغرض استعادة نشاطه للقيام بما يرضي الله من إعانة المساكين وإزالة العثرات من الطريق، فإنّ نومه عبادة وأكله الذي يريد أن يتقوّى به على طاعة الله عبادة أيضاً، إنّه لطف في لطف في آلاف الألطاف لا يصل إليها إلاّ من نال قسطاً من المعرفة، فعرف ربه عبر معرفة نفسه وما تحيط به من النعم التي أنعم بها سبحانه على عباده.

ومن هنا فإنّ كل من يقوم بخلق المباهج وإبداعها بالوجه الحسن أملاً في أن يدفع كرب المهمومين ويرفع هم المغمومين، فإنّه بحد ذاته يعد عملاً جميلاً لا غبار عليه، وإن قصد هذا العمل الخير لوجه الله سبحانه وتعالى وتلبية لندائه فإنّه قد أطاع الله وبالتالي فقد عبده ومن عبده فقد نال أجراً عظيماً عنده في الدنيا قبل الآخرة.

ومما يجدر التنويه إليه أن صلاة العيدين الفطر والأضحى لا تختلف عن صلاة الجمعة في الشرائط حيث وردت في العديد من الأحاديث على شكل نسيج واحد، والعلل المذكورة فيها وفيهما واحدة، وأن حمل الروايات التي وردت في مشروعية صلاة الجمعة فرادى على التخيير بينها وبين صلاة الظهر يخالف تصريح هذه الروايات أو ظهورها في المراد، كما إن الحديث عن عدم مشروعية صلاة العيدين جماعة في حال استحبابها فهو أيضاً غريب بعد تصريح عدد من الروايات بذلك، ومثل هذا الفصل بين وجوب صلاة الجمعة في حال حضور الإمام وعدم وجوب صلاة الجمعة في حال الغيبة على مبنى من قال بأن المراد بالإمام العادل يشمل الفقيه الجامع للشرائط حال كونه مبسوط اليد غريب أيضاً، ففي الواقع أنّ هناك فريضة واجبة، وسنة مندوبة إذا لم يتحقق شرط الأولى فينتقل إلى الثانية حسب الروايات الواردة في هذا المقام وليس بينهما حالة أخرى، وقد بينا ذلك في شريعة الجمعة، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ عيد الفطر شرّع في السنة الثانية للهجرة، كما أن عيد الأضحى شرّع في السنة الثالثة للهجرة. (بحار الأنوار: ٢٠/ ٨)

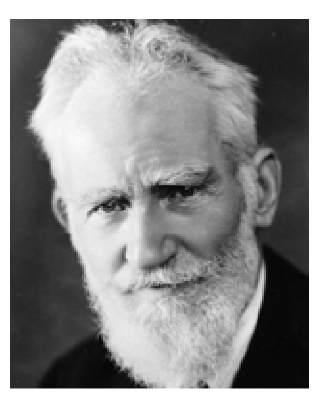


بقلم: محمد صادق الكرباسي



رسول الإنسانية في كتابات العلماء

لقد أشاد الكثير من المستشرقين بحقيقة إنسانية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيعدّونه أهم شخصية على مرّ التاريخ الإنساني وكان اعتقادهم هذا نابعاً عن وعي وإدراك منهم.



حيث يقول الفيلسوف الانكليزي (برناردشو): (إنّ محمداً يجب أن يدعى منقذ الإنسانية إنّني أعتقد أنّه لو تولّى رجل مثله زعامة العالم لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة).

وكتب الباحث الفرنسي (جان بروا): (إنّ محمداً يهدي ولا يُهدى ويعمّر ولا يخرّب، إنّ محمداً أكبر مشروع وأكبر مجدد وأكبر قائم بالنهضة الإنسانية، لم يكن محمد رسولاً لقومه وجزيرة العرب فحسب، إنّما هو رسول عالمي أرسل إلى الإنسانية جمعاء.

أمّا الشاعر الألماني (جوته) فقد بادر بإعلان حبّه للإسلام واستوحى العديد من الآيات القرآن ومقامات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أشاد الفيلسوف الروسي تولستوي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: (إنّ محمداً من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة فقد هدى أمّماً إلى نور الحق ومنعها من سفك الدماء وارتكاب الفواحش وفتح لها طريق العلم والمدنيّة).



وهناك كتابات التزمت بالموضوعية والمنهج العلمي فمدحت نبي الإسلام وأثنت عليه وفي مقدمتهم عالم الرياضيات (مايكل هارت) إذ وضع النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليكون الأول في طليعة المائة الذين اختارهم بقوله: (إنّ اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ كونه الرجل الوحيد بالتاريخ كلّه الذي نجح على المستويين الديني والدنيوي).

كما عدّه الفيلسوف الانكليزي (جيبون) في كتابه حول الامبراطورية الرومانية إنّ أيّ فيلسوف يؤمن بوجود إله لا

قالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله



يمكنه إلاّ أن يقر بعقيدة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي عقيدة ربّما كانت أسمى من عقولنا في الوقت الحاضر).

وبالرغم من التعصب الكبير الذي اتسمت به أوروبا في الماضي والإساءات التي وردت في كتابات بعض المستشرقين الذين شوهوا في الإسلام وأساؤوا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن جهل أو عن قصد أحياناً فقد ظهرت كتابات أوروبية أنصفت الإسلام ونبيه.

مع أنّ ديننا ورسولنا الكريم لا يحتاجان إلى شهادة من أحد (والله غني عن العالمين) ولكنها شهادات الآخرين من فلاسفة وكتاب أوصلتهم عقولهم إلى الحقيقة وقد حالت مجتمعاتهم المتعصبة بينهم وبين إشهار إسلامهم فاكتفوا بالتعبير عنها.

هذه الكتابات أنصفت إلى حد ما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي شهادات ترد على الذين يدلسون ويكذبون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبقى أكبر من كل الكلمات وهو بتبليغه الرسالة قد أنجز الخير كله وأدّى الأمانة ورسم للإنسانية طريق الأمن والسلام في الدنيا والفوز في الآخرة.

وقد تحمّل في هذا الطريق المشاكل والمصائب التي جرت عليه صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة الناس إلى الإسلام.

وقد ثبت عند الفريقين ما جرى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

فعبد الله بن وهب قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت للنبي: يا رسول الله: هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لقيت من قومكِ كان أشد منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلّم علي ثم قال: يا محمد! قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين». فقال رسول الله صلى الله عليه آله وسلم: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً».

بقلم: الدكتور رحيم كاظم الهاشمي



ولقد آتينا لقمان الحكمة

لقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كلمة (الحكمة) عشرين مرة، ووضع الحكمة في قائمة أعمال الأنبياء عليهم السلام، وقد مدحها وأطلق عليها عنوان (الخير الكثير)، فما هو المقصود من (الخير الكثير).

الحكمة في اللغة

تطلق كلمة الحكمة في اللغة على العلم الذي يمنع الإنسان من الأعمال القبيحة، وقد أخذ هذا المعنى استعارة من حكمة (الحديد) واللجام.(مجمع البحرين:٦/٤٥)

يعني: كما أنّ اللّجام يستعمل لردع الحيوان، فكذلك الحكمة تمنع الإنسان من السقوط في المهالك والقبائح، لذا سمّوا فهم المعاني بالحكمة لأنّها المانعة من الجهل.

الحكمة في الاصطلاح

في مصطلح علماء الإسلام، الحكمة عبارة عن: العلم بحقائق الأشياء، وهي تنقسم إلى قسمين: علميّ وعمليّ؛ فالحكمة العلميّة تسمّى أيضاً (بالحكمة النظريّة) وهي تشمل على علوم ما بعد الطبيعة... والعلوم الطبيعية أيضاً.

أمّا الحكمة العمليّة... فهي علم سياسة المدن، وتدبير شؤون البيوت والمساكن وتهذيب الأخلاق.

الحكمة في القرآن الكريم

ذكر الشيخ أمين الإسلام الطبرسي (طاب ثراه) في ذيل الآية المباركة: ﴿...وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا..﴾.(البقرة:٢٦٩)

فهناك معانٍ مختلفة للحكمة:

١. علم القرآن: أي، معرفة ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره... الخ.

٢. صدق الأقوال والأفعال عن (مجاهد).

٣. علم الدّين وأحكامه عن (ابن زيد).

٤. علم النّبوة عن (السديّ).

٥. معرفة اللّه وتوحيده عن (عطاء).

٦. الفهم والإدراك عن (إبراهيم).

٧. الخوف والخشية من اللّه تعالى عن (ربيع).

٨. القرآن والفقه عن (الإمام الصادق عليه السلام ومجاهد).

٩. العلم الذي تعظم منفعته، وتجلّ فائدته، وهذا المعنى جامع للأقوال.

١٠. ما وهب اللّه أنبياءه وأممهم، من كتابه وآياته، ودلائله وبراهينه ليدلّهم بها على معرفتهم به (جلّ شأنه) وبدينه عن (أبو علي الجبائي).

١١. سمّى العلم بـ(الحكمة) لأنّ الإنسان يُمنع به عن القبائح، لما فيه من دعوة النّاس إلى فعل الحسنات والخيرات، ومنعهم عن عمل السيّئات والقبائح.

روي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم إنّه قال: «إنّ اللّه آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً، ألا فتفقّهوا وتعلموا فلا تموتوا جهالاً».(مجمع البيان:١/٣٨٢)

الحكمة في بيان أهل البيت عليهم السلام

١. قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهم السلام وفي وصية لهشام: «يا هشام:... قال الحقّ تعالى في كتابه ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ... ﴾ (لقمان:١٢)، قال عليه السلام: هو الفهم والعقل».(تفسير العياشي:١/١٥١)

٢. نقل أبو بصير رحمه اللّه عن تفسير الآية المباركة ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ... ﴾، عن الإمام الباقر عليه السلام، بأنّ المقصود من الحكمة: «(هي المعرفة)».(بحار الأنوار:١/٢١٥)

٣. قال أبو بصير: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير الآية الكريمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ... ﴾، فقال عليه السلام: «طاعة اللّه ومعرفة الإمام».(الكافي الشريف:١/١٨٥،ح١١)

٤. قال أبو بصير أيضاً: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ ...وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.. ﴾، قال: «معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب اللّه عليها النار».(بحار الأنوار:١/٢١٥،ح٢٤)

٥. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الحكمة المعرفة والتفقّه في الدّين، فمن فقّه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من فقيه».(تفسير العياشي:١/١٥١)

المعنى الجامع والواسع للحكمة

قال اللّه تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ... ﴾.(لقمان:١٢)

ثم يفسّر (الحكمة) هكذا: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾؛ أي (يا لقمان...) إنّ من الحكمة أن تشكر اللّه تعالى؛ وقد أكمل الشكر بقوله تعالى: ﴿ ...وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾، أي أنّ من يشكر اللّه إنما لنفسه الشاكرة، فاللّه الغني عن شكر العباد، ولا حاجة له في شكر العباد؛ فقد بيّن أنّ الشكر للّه هو يؤدي إلى مرضاة النفس ومن يكفر باللّه فإنّ اللّه غني حميد؛ فالشكر وعدمه لا حاجة للّه فيهما، إنما هي للإنسان وقد قرنها اللّه بأن يجعل الشكر من الحكمة، أنّ من يشكر اللّه يعد حكيماً.

إذن فالنظر إلى المعنى الجامع والواسع لكلمة (الشكر) في القرآن الكريم والروايات الشريفة تتجلّى لنا هذه الحقيقة؛ بأنّ الحكيم هو الإنسان الشكور للنّعم والعطايا الإلهية، ويتحقّق هذا المعنى بصورة كاملة حين يمتاز الإنسان بالمعرفة والعلم والعقل، ويضع أقواله وأفعاله في ميزان الصدق والاستقامة؛ لأنّ الحكيم كل من استطاع أن يغترف من معاني الحكمة المختلفة، ويتمكّن أن يشكر النعم الإلهيّة أفضل وأكثر.

بقلم: ولي الفاطمي

معرفة اللّٰه تعالى



× جوهـر المعرفة، أن تعـرف ربّك؛ أمّا جوهر الحكمـة، فأنّ تعرف ماذا أراد منك.

× قـد يعطي اللّه العقـل لأفراد، والحظ لأفراد آخريـن، والصحة لقوم ثالثـين وذلك من تجليات عدله في خلقه.

× بعضـ الناسـ إيمانهـم كجلمود مـن الصخـر، لا يتكسـر في مواجهة التـاج والصولجان؛ وبعضهم إيمانه كالملح سـرعان ما يذوب في كيمياء المال و السلطان.

× دليـل المؤمـن إلى منابع الخـير هو أحد أمريـن: إما الشـوق على رضا الرب، أو الخشـية من غضبه.

× لا يقاس بقدرة اللّه أحد.. فهو (لا من شيء) صنع (كل شيء).

× العلم أقوى أسلحة المؤمنين، كما أنّ الإيمان أقوى أسلحة العلماء.

× أقـرب ما يكون إليك سـر الحياة.. أقرب ما تكـون إلى الرب في حالة الصلاة ومحراب العبادة.

× احتفـظ بإيمانـك بقوة، فلا شـيء مثلـه يمكنه أن يسـند ظهرك في لحظات الإحبـاط والكارثة.

× كل الأماني العظيمة يمكن تحقيقها في الحياة إذا توفر بعض الإبداع، وبعض التشجيع، وبعض المساعدة، والكثيرمن التوفيق الإلهي.

× الإيمان مرشد العقل وليس العكس.

بقلم: محمد هادي عباس



الصمغ العربي يقضي على الفشل الكلوي

الصمغ العربي عبارة عن خليط مكون من بروتين سكري، لذلك يعد مصدراً للسكريات من بينها أرابينوز و الريبوز، و كانت هذه السكريات قد تم اكتشافها عقب فصل وتحليل مكونات الصمغ العربي ولذلك سميت بأسمه وتعد السودان أشهر البلاد المنتجة للصمغ العربي فهي تنتج ما يقرب من ٨٠٪ من إجمالي الإنتاج العالمي لذلك تعتمد عليه كمصدر للرزق والتجارة ويحصد المزارعون الصمغ العربي من السنغال، والسودان، والصومال وللصمغ العربي فوائد متعددة ومؤخراً أشارت الأبحاث الطبية أنه يساعد في القضاء على الفشل الكلوي، وهذا ما ستبرزه تفصيلاً أجزاء المقالة التالية.

الإستخدامات العامة للصمغ العربي

- يستخدم الصمغ العربي في صناعة المنتجات الغذائية كالحلويات.
- يعد الصمغ العربي عنصراً مثبتاً من عناصر الطباعة الحجرية.
- يدخل في صناعة ملمعات الأحذية.
- يعد مادة لاصقة تستخدم للطوابع البريدية.
- يدخل في صناعة مستحضرات التجميل للسيدات.

الإستخدام الطبي للصمغ العربي

يستخدم الصمغ العربى كدواء فهو يدخل ضمن صناعة الإستحلاب و له أهمية كبيرة بالنسبة لمرضى الكلى.

تأثير الصمغ العربي على الصحة

بالرغم من فوائده الا أنّه تم تسجيل حالات عانت من التحسس تجاهه عندما تتاوله أو حينما تستنشق رائحته فهو يخرش الجهاز التنفسي عند استخدامه.

الصمغ العربي يقضي على الفشل الكلوي

وضع الأطباء وصفة طبية من الصمغ العربي وقاموا بتجربتها على مرضى الفشل الكلوي وكانت الوصفةعبارة عن طحن ملعقتين من الصمغ العربي ووضعهم في كوب من الماء وتركه ليشرب مرتين صباحاً ومساءً، وكانت النتائج كالتالي:

- الصمغ العربي رفع معدلات إفراز الفضلات عند المريضة المصابة بالفشل الكلوي مما أدى لتحسن حالتها و استغنائها عن غسيل الكلى.
- تم تطبيق الوصفة على مرضى آخرين ولكنهم لم يعجبهم طعم الصمغ العربي ورفضوا تكملة العلاج به.
- وجد الباحثون أن هناك شاباً عمره ٣٥ عاماً كان يعاني من الفشل الكلوي منذ عام ووصف له الأطباء الصمغ العربي وبعد مرور الوقت أجرى التحاليل مجدداً فتفأجأ الأطباء بشفائه تماماً من الفشل الكلوي وأنه ليس بحاجة لغسيل الكلى.
- توصل الباحثون الى أن الصمغ العربي يخفض أيضاً من نسبة الكرنتنين حيث إنّه كانت هناك فتاة عمرها ٢١ عاماً وصلت نسبة الكرنتنين لديها الى حوالي ٥,٥ فنصحها الأطباء بالصمغ العربي وبعد مرور ٣ أسابيع انخفضت نسبة الكرنتنين الى ما يقرب من ٢.

الصمغ العربي يساعد في علاج السكري وعدة أمراض آخرى

أضافت الأبحاث أيضاً أن الصمغ العربي يقلل من امتصاص الجسم للسكر لأنه يحتوي على عدة ألياف تمكنه من ذلك مما يرفع من إفراز إنزيمات تخفف الوزن وتكافح الدهون وتحد من الإصابة بسرطان القولون كما يحد من ارتفاع ضغط الدم والتهابات المفاصل وترفع أليافه الذائبة من معدلات الأحماض الدهنية التي تساعد في طرد السموم من الجسم وسلامة وتقوية الجهاز المناعي مما يسهم في الوقاية من أكبر عدد من الأمراض.

طريقة استعمال الصمغ العربي

يطحن الصمغ العربي جيداً حتى يصبح ناعماً كالبودرة ويوضع في كوب ماء ويقلب جيداً ويترك من ثلاث ساعات حتى يذوب تماماً ويفضل شربه على الريق صباحاً ومرة أخرى مساءً. وقد أثبت الباحثون أن تناول الصمغ العربي خالٍ تماماً من الأعراض الجانبية وينصح بتناوله فهو أكثر فائدة من الأدوية والعقاقير الكيميائية.

بقلم: أحمد عباس



تقسيم الوقت

كيف نكتشف خارطة الطريق؟ وكيف نرسم الهدف؟

قبل الإجابة لابد أن نعرف مكونات الخارطة، فالخارطة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية وهي:

أولاً: الأهداف المستقبلية.

ثانياً: ملاحظة الواقع وتقييمه على ضوء هذه الأهداف.

ثالثاً: رسم الخطوات العملية للوصول إلى الأهداف.

وهذا معناه أن الخارطة تتكون من ثلاث قواعد وهي:

١. المعرفة بالأهداف.

٢. المعرفة بالإمكانيات والسبل.

٣. المعرفة بالزمان وتحديد الوقت.

وهذه العملية على بساطتها هي من أعقد العمليات وأكثرها صعوبة، فتحديد الأهداف الواقعية تعتبر مشكلة ليست باليسيرة، وكذلك تقييم الواقع ومعرفة الإمكانيات المتاحة والسبل، وأخيراً رسم الخطوات وتحديد الحصة الزمنية لكل هدف مراد إنجازه، أيضاً تعد من المشكلات الحقيقية.

حيث إنّ للأهداف والإمكانيات وللزمان، أثراً واضحاً على نجاح أو فشل عملية التخطيط للخارطة، والسبب يعود إلى أن العاملين يتفاوتون في نظرتهم، في مدى الرؤية إلى الأهداف، فمنهم من يستطيع أن يكون بعيد الغور، فيرسم أهدافاً بعيدة، ثم يخطط للوصول إليها، عبر مرحلة زمنية، ومنهم من لا يكون كذلك.

درجة تشخيص الهدف

لكل عمل وبرنامج أراد الإنسان أن يؤديه لابد من تحديد وتشخيص الهدف منه، لكي يتجه كل الفرعيات والجهود نحوه، يقول تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾. (لقمان:١٩)

أي اجعل مشيك – حركتك قاصدة – أي هادفة، وتتميز الأهداف بأنها كلما كانت عامة وذات إطار واسع، كلما سهل تجمع الأفراد حولها، وبالعكس كلما حدّدت الأهداف بشكل دقيق وضيق كلما ظهرت الخلافات حولها وتقلص عدد المؤمنين بها.

فالأسئلة هي: هل منشأ هذا الهدف ذاتي؟ أم هو ناشئ من ضغط الظروف؟ أم هو من أفراد العمل؟ أم من ضغط المولين للخطة؟ أم من ضغط المتبنين والمساندين للعمل؟ أم من القياديين؟

ومن النص الشريف للإمام الكاظم عليه السلام نكتشف أن الإمام سلام الله عليه وضع الساعات الأربع، تلبية لحاجات أساسية لا يمكن غض الطرف عنها.

أضف إلى ذلك أن النص الشريف طرح ترتيباً حكيماً لهذه الساعات، حيث إنّ هذا الترتيب يتضمن ترتيبة من حيث الأهمية والهدفية، والترابط الموضوعي، وهو ما سنكتشفه بعد قليل.

والمهم هو أننا يجب أن لا نتنازل عن هذه الساعات الأربع، تحت أي ظرف من الظروف، فهي أهداف تشكّل ثوابت للزمن الرسالي، في خارطة الطريق المقترح للعاملين في الساحة.

الخارطة اليومية للشخصية الملتزمة

لقد أعطى الإمام الكاظم عليه السلام أبعاداً أساسية للخارطة اليومية والأسبوعية للشخصية الملتزمة ألا وهي:

البعد الأول: ساعات المناجاة.

البعد الثاني: ساعات الرزق والمعاش.

البعد الثالث: ساعات العمل الرسالي والحركي في أوساط (الإخوان والثقات).

البعد الرابع: ساعات اللّذة في غير محرّم.

وبذلك أعطى الإمام من خلال النص الشريف خارطة واضحة للطريق عندما قال: «وَاجْتَهِدُوا أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ، سَاعَةً مِنْهُ لِمُنَاجَاتِهِ وَسَاعَةً لِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَسَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ الثِّقَاتِ وَالَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَيَخْلُصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَسَاعَةً تَخْلُونَ فِيهَا لِلَذَّاتِكُمْ وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثِ السَّاعَاتِ». (تحف العقول:٤٢٣)

بقلم: الشيخ حمزة اللامي

الخطاب الإسلامي في وسائل الإعلام

إنّ بعض وسائل الإعلام تعتمد على الاجتهاد في موضع النص وهذا يحدث كثيراً وكأن لا قيمة للنص وقائل النص هو الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أو من أنطقهم الله بحكمته وبمضمون كتابه وهم العترة الطاهرة في الحالتين المسألة ترجع إلى المطلق المقدس.

لذلك يحدث الاجتهاد في موضع النص ثم تأتي وسائل الإعلام لتروج الصورة الإسلامية صورة الفرد المسلم اعتماداً على هذا المصدر.

بعد ذلك نأتي إلى الدراسة في المعقول، نجد ضعفاً لا يضاهي فيها ولا يمكن السكوت عليه، ونجد تناقضاً في خطوات منهج البحث المتبع، ونجد أن أدوات الخطاب المستوردة وضعت لغير السياق المعني، لأنّ الذي صنع وسائل الإعلام وصنع لها أدواتها هو غير المسلم، ولذلك نجد أنّ هناك ثقافة محمولة على المنتج المستورد، وعلى سبيل المثال اللباس الإسلامي أو الشرعي من الذي حط نظمه؟ أليس الموضة أو الموديل؟ والتي هي بحقيقتها الحمولة الثقافية للمستورد؟

وأن الضعف والتهرّؤ في المنظومة المعرفية التي يستند إليها الخطاب الإسلامي في الإعلام، كل ذلك لأننا نتشتت بين أنظمة ثلاثة، عندنا النظام الإسلامي وعندنا النظام القبائلي الجاهلي وعندنا النظام المدني أو السياسي، كلما احتجنا إلى أن نلبي مصالحنا اتجهنا إلى أحد هذه الأنظمة ولا ننظر إلى ما فيها من تعارض.

قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾. (الفرقان:٤٣)

ألا يعني هذا أنّ للهوى سلطة الإله على الإنسان في الحين والآخر؟ وبماذا نمثل الصنمية والذاتية؟

فهناك مظاهر كثيرة تنتسب إلى النظام القبائلي الجاهلي، وعندنا أيضاً النظام المدني الذي ذهب إلى أنسنة الدين والذي عبر عنه بسحب البساط من المقدس، ثم نأتي إلى الشريعة الإسلامية فنجدها تكتسب بكثير من سلوكيات أبنائها من النظامين المدني البراغماتي النفعي، ومن القبائلي الصنمي ثم بعد ذلك ننتج ممارسات ثقافية هجينة.

فإذا جئنا إلى المنصات وإلى المنابر تحدثنا عن الخطاب الإسلامي الرسمي لا ننتبه إلى أننا نكرر المادة الخام غير المستنبط منها وغير المصنعة على شكل ممارسات ثقافية فإذا جئنا إلى الممارسة نمارس ما هو مستورد ولا ينسجم مع ثقافتنا الإسلامية ونجد القبول بمصادر إسلامية للتشريع وللتنظيم تقوم على تناقضات واعتراضات ونجد غياب التوازن بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، ونجد اختلاط الأدوار بين السماوي والبشري من حيث موضوعات متعددة الحدود نجد الخلط بين الثابت والمتحول واستحقاق كل منهما فكرياً وقانونياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وحتى عبادياً، وأخيراً نجد تعويم الثوابت وتثبيت المتحولات.

وأنّ الممارسات الثقافية الغربية تحسن التسوق لنفسها، بينما ممارساتنا لا نمتلك لها الأدوات الإعلامية ما يحسن عملية التسويق وهذه ملاحظة يجب أن نعترف بها وأرى ضرورة فتح قنوات الحوار والتأكيد على الوسائل التفاعلية واستبعاد الوسائل الخطية بصيغة إفعل ولا تفعل، وقل ولا تقل بالطريقة الخطية في الإعلام.

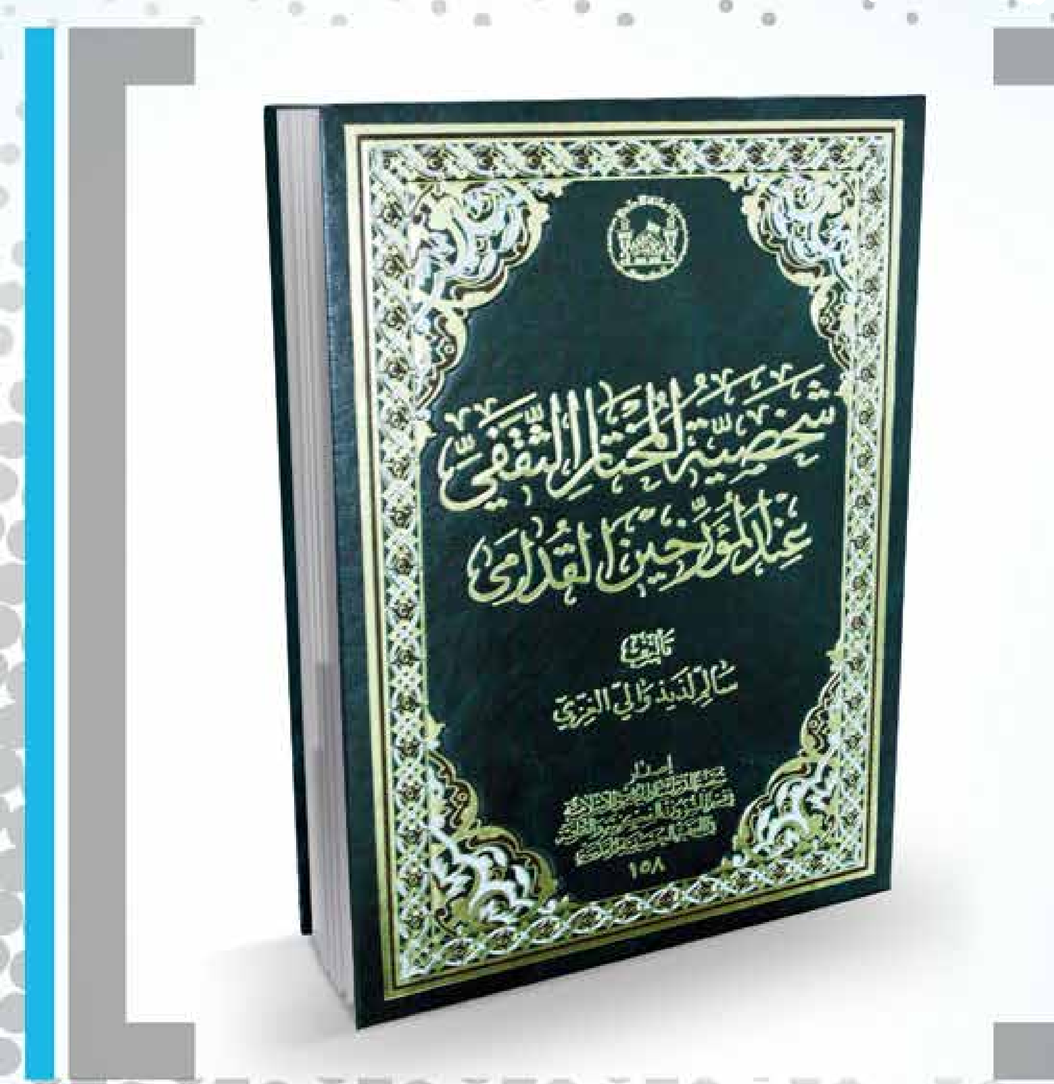
والمتلقي يصبح مستمعاً لا يحق له أن يرد ولا يحق له أن يحاور، فيجب استبعاد الوسائل الخطية في الإعلام والتي ما عادت تجدي نفعاً ولا تواكب متطلبات العصر وقد شاهدتم كيف أن ثورة الفيس بوك صنعت تحولات جذرية في المجتمعات بسبب التفاعل والتواصل والحوار.

فالتبليغ الخطي الرأسي أثبت فشله وعدم جدواه ونحن الآن نتحدث عن ثورة جماهيرية عالمية عارمة، مع أننا قد نتفق بالقلوب والأدلة إلى أننا بحاجة ماسة إلى مصلح لكل هذه المشاكل بقيام وإمكانات وتسديد إمامنا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بقلم: الدكتور أمجد الفاضل



صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبـــة الحسينيـــة المقدســـة





تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:
info@imamhussain-lib.org